الحقائق في أخلاق وسلوك الخلائق

* الكتاب: الحقائق في أخلاق وسلوك الخلائق
* الكاتب: بيشوي مكرم زكي
* مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدى
* تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدى
* إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدى
* رقم الإيداع: 11122/ 2022
* الترقيم الدولي: 978-977-6914-84-1

المدير العام: عزيز عثمان

لمراسلة الدار: **daralmuntadaa@gmail.com**

واتس آب: 01005186476

صفحة الدار على موقع فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع

9 789776 914841

الحقـــائـــق

في أخلاق وسلوك الخلائق

للكاتب

بيشوي مكرم زكي

دار المنتدى للنشر و التوزيع

والصدقُ أرفع ما اهتز الرجالُ لهُ — وخيرُ ما عـوّدَ أبنـاً في الحيـاةِ أبُ

وَإِنَّمَـا الأُمَـمُ الأخـلاق مَـا بَقِيَـتْ — فَـإِنْ هُـمُ ذَهَبَـتْ أَخْلاقُهُـمْ ذَهَبُـوا

أحمد شوقي

المقدمة

كتبت هذا الكتاب من أجل ثلاثة أهداف، أو فلنقل من خلال ثلاثة منطلقات، وحتىٰ يكون الهدف واضحـًا من كتابتي أنا شخصيـًا لهذا الكتاب الذي أعتبره من أفضل المحطات في مسيرتي المتواضعة ككاتب؛ رأيت أن أكتب المنطلقات الثلاثة في المقدمة لأشرك معي القارئ العزيز في تلك القضايا التي طرحت من أجلها هذا الكتاب:

كانت لي صديقة من السيدات المصريات الرائدات في الثقافة والاستنارة، وكانت محامية ولديها حساب علىٰ مواقع التواصل مثل صالون ثقافي نتناول فيه كأصدقاء لهذه السيدة الموقرة كل قضية كانت تطرحها، فاستزدت ثقافة وفكرا واستنارة من بعض المنشورات، ربما تعادل قراءاتي لكتب كثيرة، وخلاصة الأمر أننا تناقشنا مرة في مسألة تدريس الدين في المدارس المصرية مقارنة بالدول الغربية التي لديها منهج أو مناهج بديلة (تختلف من بلد لأخري) مثل مادة «الأخلاق العامة» وهي تدرس للطلاب بغض النظر عن دينهم أو مذاهبهم، لذا فهي تعلم الطفل هناك أن الأخلاق شيءٌ إنساني بحت بعيدا عن إيمانه بدينٍ ما من عدمه حتىٰ مستقبلاً، فتصبح الأخلاق بالتالي شيئـًا مغروسـًا في ضميره بالتربية والعلم، حتىٰ مستقبلاً أن قرر إلا يؤمن بأي دين، ولما تناقشنا في هذا الأمر؛ طرح أحدهم معلومة بأن في مصر نفسها وفي زمن كان فيه العظيم طه حسين وزيراُ للمعارف كان فعلاً

تـدرس مـادة الأخـلاق علـىٰ الطـلاب المصـريين بمختلـف ديانـاتهم، ونحن الآن في مصر في زمـن زادت فيـه التجـارة بالـدين وحشـو عقـول البسطاء بأفكار غير مصرية وغير متمدنـة، وبـالطبع لا أعـارض بكتـابي دين الله الذي جميعنا نؤمن بـه كإلـهٍ واحـدٍ خـالق السـموات والأرض، ولا أنكر شرائعه، لكن أردت وضع أولاً منهاج أخلاقي يناسب ثقافتنا المصرية ثم الشرقية، ومن ثم يمكن أن يقـدم هـذا الكتـاب حتـىٰ أولـىٰ محـاولات بـث الأخـلاق مـن جديـد في المجتمـع مـن منظـور إنسـاني بحت؛ لتعود مادة الأخـلاق لمدارسـنا وجيـل اليـوم وجيـل الغـد، فـإن النهاية لم تأت بعد، وهذه حقيقة؛ فلا يجب أن نؤمن أننا في آخر الزمان لأن ذلـك وحـده في علـم الخـالق الحكـيم، بـل ننظـر أن هنـاك مسـتقبل يجب أن نبنيـه ونبنيـه حسـناً لأولادنـا، كمـا أننـي أقـارن بـين الأخـلاق المستمدة من كل دين أو معتقـد أو حتـىٰ فلسـفة علـىٰ حـده؛ لأنـه كمـا ستعلم عزيـزي القـارئ أنـه حتـىٰ الفلسـفات الماديـة أو الإلحاديـة لـم تستطع إنكار الأخـلاق في المجتمـع، إذ أن الأخـلاق هـي صـمام أمـان المجتمعات، لأنه بشيء من المنطقية تحافظ الحدود الأخلاقية عندما تتواجد في المجتمع علىٰ حق الجار وواجبـات الأفـراد تجـاه بعضـهم، فأنني أضع تلك المقارنات حتىٰ بين العلة في تشريع قـانون أخلاقـي في دين وربما تجد نفس القانون في دين آخر، أو التحريم أو الحث، ولكن حيثيات سن القانون تختلـف عـن حيثياتـه في الفلسـفة أو الـدين الآخـر فتختلف المنطلقات وتختلـف الشخصـية الأخلاقيـة التـي يقـدمها كـل

دين علىٰ أنها الشخصية المثالية من وجهة نظره، وبعد المقارنات أورد أيضا معضلات أخلاقية والرد عليها وهكذا.

السبب الثاني الذي جعلني أكتب هذا الكتاب هو تجربتي في رحلتي الذاتية مع الحياة، قد ولدت في المجتمع المصري كمسيحي الديانة وهو مجتمع أصغر داخل المجتمع المصري، وبداية تعلمي لكل شيء ومنها الأخلاق استقيتها من تربيتي ونشأتي (الملتزمة) داخل الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، وكانت والدتي خادمة بالكنيسة وخالتي راهبة حتىٰ الآن أدام الله عمرهما وحفظهما، فهذه خلفيتي في الطفولة، أما ما بعد الطفولة فقد انفتحت اجتماعيا علىٰ المجتمع الأكبر، والمجتمعات الأكبر فالأكبر، وتعلمت دروس أهمها كان في الأخلاق، وأهم درس أخلاقي تعلمته لما سافرت السودان مع صديق مصري-سوداني وكان عمري وقتها ثمانية عشر عاما فقط، وكان من استضافني هو عم صديقي في مدينة أم درمان، أذكر اسمه هنا تكريما وتخليداً لما قام به؛ ففسر لي بفعله هذا مثل ما كان قد قاله المسيح في الإنجيل ولم أكن أراه في الحقيقة (في مصر للأسف وقتها) كتطبيق عملي في الحقيقة ما كنت أراه في مصر تعالي بعض المسلمين (من غير المثقفين في الأغلب) وقلة حيلة ونفاق المسيحيين، لكن ما رأيته عند إقامتي عند (أبي محمد إسماعيل) السوداني فأن هذا الرجل أكرمني من القليل الذي كان يمتلكه، إذ كان يأتي لي بالطبيب لما مرضت بمرض الدوسنتاريا المنتشرة هناك، ولما نفذت أموالي كان يعطيني

نفقاتي اليومية أصرف منها، وساعدني في شراء تذكرة عودة (كل ذلك وكان ابن أخيه الذي جئت معه كان قد تركنا وذهب إلىٰ مدينة بعيدة اسمها الدمازين) فلماذا فعل معي هذا الشخص الذي ليس من وطني وليس من أهلي وليس من ديني، لماذا صنع بأخلاقه هذا الفعل أو هذه الافعال الكريمة، إلا لأنه شخص كريم الأخلاق، وأنا أشهد أنه كان رجلا متديناً يقرأ المصحف دائماً، ومع ذلك لما مر رمضان وكنت عنده كان يحضر لي الإفطار صباحا لأنه يعلم أني مسيحي ولا أصوم، كان يعطيني لأشتري سجائري. فعل أكثر من ذلك، ولا أريد ا أنن أزيد لئلا يظن القارئ أنني أبالغ، لكنه لماذا فعل كل هذا؟ الإجابة عن هذا السؤال عرفتها فيما بعد، عندما قرأت منشور كان منتشر علىٰ صفحات التواصل الاجتماعي يقول بما معناه: هناك مسلم شرير ومسلم طيب، مسيحي شرير ومسيحي طيب، ملحد شرير وملحد طيب، إذًا فالأمر يعود إلىٰ شخصية الإنسان نفسه وميوله ودوافعه في الحياة واستقامته واتزان شخصيته من عدمه، وتقابلت بعد هذا بالمسلمين الطيبين (كثيرين) والمسلمين الاشرار، المسيحي الطيب (من كل الجنسيات) والمسيحيين الكارهين الاشرار (ومنهم الكثير) تقابلت مع ملحدة أمريكية قالت لي أن سر اتزانها النفسي ونجاحها يكمن في حب الناس، وتقابلت مع ملحد ناقم معقد نفسياً يكره المجتمع أو حتىٰ يعيش في العالم الليلي المظلم.

ولهذا فكانت فكرتي النهائية عن أخلاق الناس واختلاف تلك الأخلاق من شخص لآخر أن سببها التربية والتجارب الحياتية، والشخصية نفسها أن كانت تميل للخير أو للشر، بمعنىٰ، ربما انا شخصيتي خيرة ومررت مثلاً باختبار أنأ أكون جنديًا في حرب قاسية، وزميل لي كان جنديًا قاسىٰ ويلات الحرب معي، ولكن ميل طبيعته للشر، فأنا سأستفاد من هذه التجربة أن أصبح أكثر لينًا وصديقي للأسف سيصبح أكثر قسوة.

هي ليست فقط الأمور تسير علىٰ وفاق، هذا شخص شرير بالكامل أو خير بالكامل، لأن هناك ما بين البين، بمعنىٰ، في بعض الصفات الجيدة وأيضًا لدي صفات شريرة، لكن لأن الصفات الجيدة عندي أكثر من الشريرة، أو حتىٰ أحاول أن أستر شروري وأقمعها، فنسبة هذا إلىٰ ذاك أصبح شخص طيب، في المقابل شخص آخر شروره أكثر من صلاحه (نعم لأن بالتأكيد الشرير يملك ولو دمعة عين واحدة من الرحمة مثلاً) لكن نسبة وتناسب بين شروره المتعالية وبعض الصلاح البسيط لا يجعلان منه إنسانا صالحًا للأسف، بل أن صفة الشر أكبر فيه، وهناك الخير إلىٰ درجة البياض في النقاء، وهناك المظلم حد العتمة الحالكة، وهي كل شخصيات.

ولكي لا أطيل في المقدمة عن ما الجدوىٰ من تجربتي الشخصية تلك في السودان ولماذا أخذت منها منطلق أن أكتب كتابي عن

الأخلاق، فإنني أقول ببساطة أردت التبشير بإنجيل السامري الصالح، وأن أعلم الناس أن الجنة لمن يملكون الأخلاق حتىٰ وان كانوا هندوس يعبدون البقر (وسأتكلم عن هذا تحديداً فيما بعد) وأن النار أشد منازل النار حرقاً وعذاباً ستكون لمن لا يملكون لا رحمة ولا حب ولا خير ولا حق حتىٰ وإن كانوا مؤمنين بدين الإله الواحد وأكثر الناس ظاهرياً التزاماً بالدين، أو حتىٰ كما يقال أنهم من أهل الصفوف الاولي في المساجد والكنائس والمعابد، فإن كل هذه الأمور وزد عليها أن كنت من أهل التعصب لدينك. مذهبك. طائفتك. عرقك، هي الدرج الايسر لدخول باب النار الابدية، فأنا أبشر باسم الإله الواحد هاهنا وباسم الضمير وباسم الإنسانية ككل؛ بأهم وأعظم قيم في الفكر البشري وهي محور الفلسفات والأديان والميثولوجيا وكتب العالم كله في الإنسانيات، أبشر بالخلق والحق والخير والجمال، هذا ايضاً من أهم مواضيع كتابي هذا.

أخيراً أن آخر منطلق كتبت عنه هنا في هذا الكتاب الذي بين يديك أن أوقظ الامة المصرية ثم باقي الأمم علىٰ الحقائق الأكثر وضوحاً؛ علىٰ حقيقة الحياة وحقيقة وجودنا الإنسان، وعندما نعرفها سنعرف كيف نبني حضارات ربما أعظم من أجدادنا بمراحل، فهم بنوا حضاراتهم علىٰ أسس الأخلاق الذي حولهم من بربر وشعوب بدوية مثلاً إلىٰ التمدن، وعلىٰ هذا الأساس فأننا أن استخلصنا مبادئ حقيقية تتناسب مع ما وصل إلينا من تراث بشري حضاري كبير

ومتنوع ما بين فلسفات وديانات وحكمة فأننا نستطيع أن نقدم غد حقيقي يقف علىٰ عتباته أبناءنا ليبنوا جنتهم هنا علىٰ الارض قبل أن ينتظروها في الآخرة (وقد خلقنا الله لنحيا اولاً) حتىٰ وان لم نلحق نحن بحيواتنا الزمن الذي ستبنىٰ فيه حضارات جديدة، سيلحقها أبناؤنا ولما نكون نحن حملة الأخلاق ونحن تلاميذ هذه المعلمة العصماء (أي الأخلاق السامية) سنكون قدمنا لأبنائنا مفتاح الحياة.

بيشوي مكرم

٢٠٢٢/١/٢

مسائل أخلاقية

إن الأخـلاق كمفهـوم بحـد ذاتـه قـد صـنفها القـادة الـروحيين كمطلب ديني، وصنفها علماء الاجتماع كمسلك إنساني، والفلاسفة كقيمة فلسفية يجب شرحها وتحليلها وتحليل دوافعها أيضـًا، كما أن الأدباء والشعراء يرونها أشياء مباركة يمجدونها في كتاباتهم الأدبية والشعرية، ويختلف المفهوم الأخلاقي علىٰ أساس الاختلافات الجغرافية بمعنىٰ، الأخلاق في بقعة جغرافية ما تختلف عن الأخلاق في بقعة أخرىٰ (وإن كانت الثورة التكنولوجية قد جعلت البلاد في كل العالم تنفتح ثقافاتها وتتقرب إلىٰ بعضها)

وتختلف الأخلاق أيضـًا من حيث الزمن الذي سن فيه البشر ذلك القانون الأخلاقي أو ذاك، أما بالنسبة لأصحاب الفلسفات المادية والملحدين فهم اتفقوا علىٰ أهمية وجود الأخلاق أيضـًا ولكن ليس من أجل إرضاء الخالق مثلاً (حيث هم لا يؤمنون به من الأصل) ولكن كمطلب للحفاظ علىٰ سلامة المجتمع، وكشرط للتمدن، وصمام أمان لحقوق الفرد وواجباته تجاه المجتمع.

الأخلاق في الإسلام وما أنزله الله في أحكامه لهداية الإنسان ووضعه علىٰ الصراط المستقيم؛ ولهذا فمن يتبع هذا الهدي ينال الثواب، ومن يحيد عنه ينال العقاب سواء في الحياة الدنيا أو الآخرة، حيث يبقىٰ في عذابه الأبدي، وأما في المسيحية فقد تعددت الآراء من

طائفة مسيحية لأخرىٰ، في الإيمان البروتستانتي أن الأخلاق هي نعمة ينالها المؤمن عند إيمانه بالرب يسوع وكلما زاد امتلائه بالروح القدس. وفي اللاهوت المعاصر ونستطيع أن نقول أن الرأي التالي هو رأي الكنيسة الكاثوليكية العالمية في الأغلب وكذا الكنيسة الإنجليكية؛ فهم رأوا ومن خلال آيات موجودة بالإنجيل أيضًا أن الأخلاق ليست حكراً علىٰ المؤمن المسيحي، ففي هذا يقول القديس بولس «من ليس لهم شريعة _من شعوب العالم_ فضمائرهم شريعة لهم» وكذلك تحدث المسيح في مثال السامري الصالح الذي قاله لأتباعه في حياته علىٰ الأرض أنه ربما يكون شخص ليس يهوديا أو بما معناه علىٰ دين الحق (كالسامري) وكذلك قد يكون من دين غير دينك ولكنه (صالح) وهذه فكرة مثال السامري الصالح، كذلك يقول المسيح «ملكة اليمن (وهي وثنية) ستأتي في اليوم الأخير لتدين هذا الجيل» والسبب أنها سافرت من بلادها حتىٰ تسمع حكمة الملك سليمان، فهي فعلت عمل صالح وطلبت الحكمة الإلهية وهي وثنية، ومكافأتها انها ستنجو من الجحيم، بل وستدين المؤمنين الكسالىٰ، إذاً فهذه كلها نصوص تؤكد أن المسيحية فتحت ذراعيها لتقبل أخلاقيًا وشريعة إلهية حتىٰ غير المؤمنين بالمسيح ربًا، وعلىٰ هذا فهو يقول أن حتىٰ غير المؤمنين لديهم الأخلاق الحميدة.

الرأي الآخر التقليدي للكنيسة الأرثوذكسية في المسألة الأخلاقية أنه نعم الإنسان ينال نعمة المعمودية ودخول المسيحية

ولكنه عليه لكي يصل للكمال الإنساني الأخلاقي المحدود أن يجاهد الجهاد ضد النفس وضد الخطية وضد الشيطان ليصل إلىٰ اتحاد حقيقي مع الرب ويصير بالطبع في هذه الحالة من الصديقين أي من أهل الأخلاق.

أما الأخلاق في الدين اليهودي وهي تطبيق شريعة موسىٰ والأنبياء وبالأخص الحفاظ علىٰ تطبيق الوصايا العشرة التي تسلمها موسىٰ النبي وتبدأ بوصية «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك» وأخذت المسيحية نفس الوصايا أيضًا بالتوارث من جذورها اليهودية، وتشابه الإسلام قليلاً بقربه من المفهوم اليهودي المسيحي في مسألة التسليم بما جاءت به الشريعة الموسوية الأولي.

وعلىٰ الأغلب باختصار؛ فإن الأطروحة الأخلاقية للأديان الإبراهيمية الثلاثة ببساطة هي اتباع وصايا الله والحفاظ علىٰ شريعته التي أتىٰ بها أنبياء ورسل كل دين، وبعدها الجهاد ضد شر النفس وأيضًا مكائد الشيطان أو إبليس، وهو عدو الخير في المفهوم الإبراهيمي، عدو الإنسان؛ دائمًا يضع للإنسان الخطيئة في شكل مغري أو يصنع المكائد ليسقط الإنسان في المعاصي أو الذنوب أو الآثام.

ولأن الديانات الثلاث تشابهت في الكثير من الأساسيات في الدعوة للأخلاق الكريمة أو الحميدة وعبادة الله وحده بلا شريك له،

وبعدها حب الغير وتقديم الخير لينال المؤمن (الصالح) جزائه عن أعماله الصالحة في السماء بعد الموت أو الآخرة أو ملكوت السماوات. ولكن من نظرة الحيادية فإن المسيحية تسامحت بعض الشيء عندما تحدثت عن المحبة كقضية محورية في الدين المسيحي ككل، وبصورة أكثر شدة وتمسكًا، لأنه أولاً، المسيح في المسيحية أو يسوع هو نفسه الله الذي تجسد في ملء الزمان (أو في الوقت المعين من قبل الله) وقدم ذاته ذبيحة باختياره الشخصي وخطته الإلهية أن يصلب فداء لكل البشر عن خطيئة جدهم آدم الأول، والسبب المعلن في الإنجيل عن صلب المسيح هو الحب الخالص والحب فقط من قبل الرب تجاه البشر بصورة عامة (صالحين وأشرار) لأنه يريد «الجميع يخلصون وغلأي معرفة الحق يقبلون» كما يقول الإنجيل، وبعد هذه القصة المليئة بالمحبة الإلهية استشهد كل تلاميذ ورسل المسيح محبة فيه، وقبلها كتب هؤلاء الرسل عن المحبة وأفاضوا في الحديث؛ حتىٰ أن بولس الرسول وضع دستوراً كاملاً عن المحبة في رسائله، بل قال أيضًا «إن أسلمت جسدي للحرق وإن تكلمت بألسنة الناس والملائكة وإن كان لدي كل العلم وليس لي محبة، فلست أنتفع شيئًا فقد صرت صنجًا يرنًا أو نحاسًا يطنًا»

وأما اليهودية فقد حافظت علىٰ التقاليد المتوارثة من آبائهم وأنبيائهم بقدسية شديدة وتمسك بتنفيذها والعمل بها، وفي هذا القول المذكور في سفر يشوع ابن سيراخ «اجعل هذه الوصايا أمام عينك،

اربطها كعصبة علىٰ جبهتك، علمها لأبنائك» فالوصية في الدين اليهودي مثلاً لتطبيق حد زنا بالرجم، أو تقديس يوم السبت أهم لديهم من التسامي الأخلاقي، بمعني هم لديهم الأخلاق المتوارثة عن آبائهم والتي صدرت عن الله مباشرة فكل ما علىٰ المؤمن اليهودي أن يحفظها ويطبقها فيصير يهوديا صالحا، ويستحق أن يكون في أحضان إبراهيم وإسحاق ويعقوب بعد موته.

وفي الإسلام تسامي أخلاقي رائع، ومنطقي أكثر من عاطفي، أي نوع من العقلانية جاء بها الإسلام (وتتشابه نوعاً مع المسيحية) فمن المعروف أن مصادر تشريع الإسلام هما القرآن والسنة النبوية، ولكن لدي فقهاء الدين قاعدة أنه وإن تعددت الأقوال في أمر «فأستفتي قلبك وإن أفتوك» أي أن الفطرة السليمة التي فُطِرتُ عليها كإنسان تستطيع تمييز الحق عن الباطل في حالة أن ساورك الشك في أمر تشريعي، كذلك «الحرام بين والحلال بين» إذاً فقد وضع الله أمام المسلم أن يميز هو بنفسه بين الخير والشر في أمورٍ لم يتم البت فيها مثلاً. أو ليس هناك رأي ديني ثابت عند الفقهاء، وهذا يعني تحرير العقل، بالرغم من أن الإسلام هو أيضاً يُعلّم بالتمسك بما جاءت به نصوص الدين في الأمور الأكثر أهمية.

باقي الأديان الأخرىٰ التي مازالت حية والتي تصنف من الأديان الوثنية كالبوذية والهندوسية والزرادشتية والكونفوشيوسية وأغلبها في

قارة أسيا حيث حدث في القرون الأقدم تمكن المسيحية من أوروبا والغرب كله حتىٰ دعي بالغرب المسيحي، والإسلام تمكن من الشرق كله فأصبح الشرق الإسلامي، وبقيت أجزاء من قارة أفريقيا علىٰ أديانهم الوثنية ثم جاءهم التبشير المسيحي من الغرب والهداية الإسلامية من الشرق، فتحول من أهل أفريقيا من تحول لتلك الأديان العالمية الكبرىٰ ولكن بقيت المناطق والقبائل الأكثر انغلاقـًا تؤمن بما توارثوه من عقائد بدائية وثنية.

والاختلاف الأكيد الواضح بين الأخلاق في الأديان الإبراهيمية وبين ما نصت عليه الأديان الوثنية بدورها من أخلاق وضع الإنسان المفكر في زمن الانفتاح الذي نحياه أمام أكثر من تحليل لسؤالين لماذا الأخلاق؟ وما هي الأخلاق الصحيحة إذا ما اتفقنا علىٰ وجوب وجودها؟ وما حكم الانحلال الأخلاقي؟ وما هي الدوافع للعمل الأخلاقي؟ هل مثلاً انتظار الثواب والخوف من عقاب الإله!؟ أم ليستريح ضميري!؟ لأن الضمير يستريح عندما يفعل ما هو صواب (الضمير السوي بالطبع)، أم أنني أفعل ما هو أخلاقي لأتجنب العقوبات القانونية الاجتماعية!؟ أو لأكون مواطنـًا صالحـًا مثلاً!؟

وما هي شروط الأخلاق؟ هل التسامي في كل ما يستحسنه العقل؟ أم بمجرد تجنب الشر وفعل الخير البسيط العادي؟ أم أنك حر ما لم تضر جارك في المجتمع كرأي أصحاب الفلسفة المادية؟ أم في

تحكيم الحكمة وتهذيب النفس بالآداب والحكمة لتكون شخصاً صالحاً؟

ومن برمج الضمير علىٰ التمييز بين الخير والشر؟ هل المجتمع والأسرة في تربيتهم للطفل يغرسون مفاهيم الصلاح والطلاح بالترغيب والترهيب المعروف؟ وإن كان الأمر فقط تربية وتعلم، فإن وضعنا مثال لأخين تربيا علىٰ نفس التربية من والديهما ولكن الأول انحرف في طريقه والثاني استقام، فليس السبب هو أن هذا شخصيته تميل للخير والسلام والآخر عنيد مثلاً ويكره التقيد بأوامر! أو يميل إلىٰ الشر ببساطة! إذاً فهناك شخصية مبرمجة بالفطرة علىٰ عمل الخير، وشخصية أخرىٰ بفطرتها شريرة.

حتي الحيوانات يعيشون في جماعات كل فصيلة من مجموعة حيوانات تعيش جماعياً وتحمي أفرادها، ولدىٰ الإناث غريزة الأمومة حتىٰ وأنهم لم تتم تربيتهم علىٰ تعاليم تربوية أو قرأوا حتىٰ كتاباً واحداً؛ فهم حيوانات، لكنهم بالطبيعة يصنعون ما خلقوا من أجل أن يصنعوه (ففي هذا هم أذكي من الإنسان الذي يحتاج إلىٰ تربية وتهذيب وتحصيل المعرفة) فجرو الكلب مثلاً يستطيع أن ينمو بعيداً عن أمه وأخوته وهو واعٍ لما يصنعه أي كلب بالفطرة، بينما طفل الإنسان يحتاج أن يناقش ويجادل ويتلقىٰ التعليم والتربية ليكون إنساناً كاملاً.

إن الاسئلة المطروحة في المسألة الأخلاقية قد وضعت الإنسان في الأزمنة القديمة أمام حقيقة مؤكدة تنص علىٰ أنه يجب أن يكون هناك خالق علىٰ الأقل لأننا لسنا فقط كائنات عاقلة، بل لأننا جميعنا نحمل برنامج واحد للأخلاق السليمة، قد يتشوه لأسباب كثيرة عند البعض بسبب تجارب نفسية سيئة أو خبرات حياتية أو جهل أو قلة ذكاء، بل أن الإنسان حتىٰ في المجمل ليس صالحـًا، لكن كل شخص يحمل صفات منها الجيد ومنها السيء، هذا أمر طبيعي جداً، وعندما تزيد كفة الصفات الجيدة في ميزان شخصيته فنقول هو شخص جيد أو خير، وعندما تفوق سيئاته عن أخلاقياته نقول هو شخص شرير.

وللدلالة علىٰ أن الأخلاق الحميدة (بالطبيعة) هي الأفضل، أو هي ما يجعل الإنسان سويـًا، أو أن الإنسان السوي هو من يفعل الأخلاق؛ فإن الرجل الشرير عندما يفعل الشر بغض النظر أنه يري هذا أمراً يناسبه جداً، ولكنه يعرف في قرارة نفسه أنه يفعل شيئا سيئا.

وكذلك المثال الذي يضعونه عن القطة التي تذهب لتسرق طعام ما من صاحبها مثلاً، ولكنها تعلم أنها تأخذ ما ليس لها، ولهذا فتدخل في الخفاء وتركض سريعـًا اذا سرقت الطعام، فهي لا تحتاج لعقل كامل لتعرف أنها تفعل ما ليس لها حق فيه، إذاً هو شر، وهي تدرك ايضـًا انها لما تكون وفية لصاحبها فهي تفعل ما هو (صالح)

وقـد قالـت المسـيحية معنـاً عميقـاً جـداً لفكـرة البرنـامج الفطـري للأخـلاق، تقـول الآيـة الإنجيليـة «الكلمـة قريبـة مـن فمـك ومـن قلبـك» بمعنـي أن لمـا الرسـل كـانوا يبشـرون بالإنجيـل الـذي لـم يسـمع بـه مـن قبـل الـوثنيين لكـن لأن الإنجيـل يحمـل أخلاقيـات قريبـة مـن قلـب الإنسـان فيـؤمن الـوثني بهـا لوقتـه، والسـبب؟ لأن الإنجيـل رسـالة إلهيـة فلـذلك هـي آتيـة مـن خـالق البشـر، فهـي قريبـة مـن عقـل وقلـب كـل بشـر لأنـه نفسـه تحمـل برنامجـاً فطريـاً قائمـا علـىٰ نفـس القـيم، ومثـال لهـذا عنـدما تـأتي بتطبيـق علـىٰ الحاسـب الآلـي يناسـب نسـخة النظـام (الوينـدوز) سـيتم تنصـيبه علـىٰ الفـور وببسـاطة، لكـن لـو معـك تطبيـق غيـر متوافـق مـع نسـخة النظـام سـيرفض النظـام تنصـيب التطبيـق عليـه، نفـس الأمـر مـع الأخـلاق التـي تكـون متوافقـة مـع طبيعـة البشـر، فيتفقوا عليها جميعهم ويقبلونها.

وبعيداً عن هذه الدائرة من الاسئلة الكثيرة المطروحة في المسألة الأخلاقية نأتي لفكرة الدافع الأخلاقي للأمر كذا، مثلاً كفالة اليتيم أمر تم مدحه في الإسلام وكقول النبي، والسبب المبدئي في الإسلام أنه من مكارم الأخلاق.

وفي المسيحية مثلاً هناك نفس الأمر برعاية اليتيم حتىٰ من قبل الكنيسة نفسها وليس فقط الأفراد، ولكن السبب لأن هذا من أفعال المحبة.

ثـم نـأتي لايـدلوجيا ماديـة كالشـيوعية، وهـي لا تقـول بـأن هنـاك وصايا إلهية يجب اتباعها ولا ثواب ولا عقاب، لكـن الشـيوعية أيضـًا تطالب بكفالة اليتيم علىٰ الاقل من قبـل المجتمـع وهنـا السـبب للحـد من ظاهرة تشـرد الاطفـال وبنـاء مجتمـع راقـي والاسـتفادة مـن هـؤلاء الاطفال بتعليمهم المهن والحرف مثلاً.

فاختلفـت الـدوافع والمسـببات بينمـا الفعـل واحـد، واذ تختلـف دوافع الأخلاق في كل فلسفة وكـل ديـن فتختلـف شخصـية المسـيحي الصـالح عـن المسـلم الصـالح عـن البـوذي الصـالح عـن المـواطن الصالح، أي أن كل دين يقـدم شخصـية مثاليـة عـن مـا يجـب أن يكـون عليه اتباع هذا الدين.

هـذا اخـتلاف في الشخصـية واخـتلاف في فهـم الأخـلاق نفسـها. حتىٰ وان تقاربت الاسباب لمسافة خيط واحد ولكـن نسـتطيع التمييـز هكذا بين كل فلسـفة واخـري مـن حيثيـات منطلقاتهـا، وايضـًا إلـىٰ أي صورة للمجتمع يهدف هذا الدين أو تلـك الفلسـفة، ومـن ثـم نسـتطيع تقييمها.

وقد وضعت هذا الكتاب كما وضحت مسبقـًا بسبب معلومـة أن بعض الدول تدرس مادة الأخلاق بديلاً عن مادة الدين في مصر، ولان الأخلاق هي التي قال عنها الرسول الكريم «إنمـا أتيـت لأتمـم مكـارم الأخلاق» وقالت عنها المسيحية أن الأخـلاق هـي ثمـار عمـل الـروح القدس (روح الله) في الإنسان المؤمن وكذلك هي ضمير غير المؤمن.

والأخلاق هي التي كانت أساساً بني عليها المجتمع الصيني والياباني حتىٰ أصبحت مجتمعات مثالية يضرب بها المثل في الأخلاق والنظام والعمل والعلم، والأخلاق الهندوسية هي التي أنجبت المهاتما غاندي؛ ذلك الزعيم المسالم الأخلاقي الذي عنون سيرته الذاتية بعنوان (السبيل إلىٰ الحق) وهو من قال أيضاً بعدما قدم نموذجا فريدا لإنسان قديس بالروح والأفعال «هندوس مسيحيين مسلمين، كلنا أطفال الله» ومات غاندي شهيداً أيضاً علىٰ يد من أحبهم.

إن الأخلاق هي ما استمدت منها الثورة الفرنسية روحها؛ فأنجبت أعظم الأعمال الأخلاقية روعة (القانون الفرنسي) القائم علىٰ مبادئ الثورة الثلاثة (الحرية الاخاء المساواة)

إن الأخلاق هي صمام أمان المجتمع كما آمن الماديين، وهي السبيل لملكوت السماوات أو الجنة أو الفردوس، فالأخلاق مُدِحت في الوثنية وفي الأديان الإبراهيمية وفي الدولة الملحدة، أن الأخلاق شيء ينشده المصلحون الأخلاقيون، وأصحاب فكر اليوتوبيا علىٰ مر العصور.

الأخلاق نتاج؛ إما عن معرفة وممارسة روحانية، أو إدراك معرفي وثقافي متسع، أو نتاج الخوف من العقاب واملاً في المكافأة؛ وهو ما يسمي بأخلاق العبيد؛ لأن العبد لا يملك قراره من ذاته، ولكن الحر له إرادته الحرة.

وأخيـراً، حتـىٰ وإن تـم تربيـة الطفـل منـذ نشـأته علـىٰ الأخـلاق، وحتـي أن تـم غـرس القيـم الدينيـة فيـه، فإنـه مـا لـم يكـن يميـل بطبيعتـه للخيـر؛ فلـن يـؤثر فيـه أي نـص أو أي تعلـيم، لأن فقـط مـن في قلـوبهم الخيـر هـم مـن يفعلـون الخيـر بالحقيقـة، ولهـذا فـأنني سـأبحث عـن هويـة الأخـلاق وتعريفاتهـا المختلفـة، سأسـجل لكـل قائـد دينـي مـن كـل ديـن مختلـف فكـرة دينـه عـن الأخـلاق، سـأبحث عنهـا في الحكمـة كمـا أوصـت الكتـب أيضـاً، سـأبحث عـن الأخـلاق والحكمـة منهـا، وتشـريعات المشـرعين في لمـاذا وكيـف والثـواب والعقـاب، وقـد لا أكـون محايـداً لأننـي اعـترف اني في بحثـي هـذا متحيـز ولكـن تحيـزي هـو إيمـاني الشخصـي بـأن الأخـلاق هـي السـيدة المتوجـة للحكمـة، والـلا أخلاق تعني البربرية.

أنا ابن الحضارة الأقدم في التـاريخ؛ حضـارة مصـر، وأكتـب هـذا المؤلـف ككاتـب مصـري، لهـذا كـان علـىٰ أن أنتصـر للأخـلاق التـي تمسك بها أجدادي بناة الأهرامات، ولا أتحيز لما هو قبيح، بل لما هو جميل، والقبيح يجب أن نرذله تماماً.

لا أحلـم بمجتمـع مـن القديسين، لكـن أرجـوه مجتمعـاً مهـذباً راقيـاً خلوقـاً، لأننـي أؤمـن ببسـاطة أن الإنسـان قـادراً أن يعـبر فـوق خطاياه ويصنع الخير ويسير في الاستقامة، فتصبح كل الامور مستقيمة

بالتالي، وهو الفرق والهوة ما بين دول العالم الأول التي تعرف المدنية والأخلاق والنظام والقانون، وبين دول تقبع في عالم يسمي بالثالث، تعيش في الجهل وعلىٰ أطلال حضارات أجدادهم، وكسل يعيقهم عن التقدم والمدنية.

****

نصوص أخلاقية

رأيت من الواجب عليَّ عند وضع هذا المؤلَف أن أضع نصوصا أخلاقية من الأديان ومن أطروحات الفلاسفة للمقارنة بين المعاني العميقة التي وضعت في أزمنة وأمكنة مختلفة لتضع للإنسان طريقًا للكمال الأخلاقي وكتدرج تاريخي، وبداية أضع أهم وأولىٰ التشريعات الأخلاقية بالترتيب الزمني:

المصري القديم:

«أعطيتُ الحق لفاعله، وأعطيتُ الظلم لمن جاء يحمله، لم أظلم إنسانًا، لم أُسئ استخدام حيوانٍ، لم أرتكب حماقةً في مكان الحق، لم أعلم بما هو غير موجُود، لم أنظر إلىٰ عورةٍ، لم أزد وتيرة العمل المُحدَّد لي مع بدءِ النهار، لم آت باسمي قبل اسم الإله، لم أغضب الربَّ، لم أبدِّد ميراثَ اليتيم، لم أفعل شيئًا مما نهاه الرب، لم أشِ بعامل عند رئيسه، لم أتسبَّب في تعاسةٍ، لم أترك جائعًا، لم أتسبَّب في دموعٍ، لم أقتُل، لم أحرِّض علىٰ القتل، لم أعذِّب أحدًا، لم ألوِّث ماء النهر، لم أنقص قرابين المعبد، لم أستبح خُبزَ الآلهة، لم أسلب قرابينَ الموتىٰ، لم أزن، لم أنجِّس نفسىٰ في الأماكن الطاهرة في معبد إله مدينتي، لم أزد ولم أنقص المكيالَ، لم أغش في مقياس الأرضِ، لم أتلاعب في مثقالِ الميزان، ولم أزحزح مؤشِّرَ الميزان، لم أنتزعْ لبنًا من فم رضيعٍ، لم أحرِّم قطيعًا عن مرعاه، لم أقتنص طُيورًا من براري

الآلهة ولا سمكًا من بحيراتهِ، لم أمنع ماءَ الفيضان في موسمه، لم أبنِ سدًّا للمياه الجارية، لم أطفئ نارًا ينبغي إشعالها، لم ألوِّث قُربان اللحم في أيام الأعياد، لم أتعرَّض إلىٰ قطيع من مُمتلكات المعبد، لم أسد طريقَ موكب الإله، (،) لم أرتكب ظلمًا، لم أسرق، لم أكُن جشعًا، لم أنهب، لم أقتل إنسانًا، لم أغش الميزان، لم أرتكب حماقةً، لم أسلب مُمتلكات المعبد، لم أكذب، لم أسرق طعامًا، لم أتسبَّب في بُكاءٍ، لم أكن عدوانيًّا، لم أقتل حيوانًا من مُمتلكات الإله، لم أسرق غلة الأرضِ، لم أعترض علىٰ المقسُوم، لم أتجسَّس علىٰ الآخر، لم أتحدَّث بالبهتان، صارعت فقط من أجل ممتلكاتي، لم أمارس الجنس مع زوجة رجل آخر، لم أمارس اللواط، لم أنشر الخوف، لم أكُن سريعَ الغضب، لم أفسد، لم أكن أصم عن الحقِّ، لم أتسبَّب في شجارٍ، لم أزعج الآخر، لم أمارس القُبح، لم أكُن مُهملاً، لم أكُن غضُوبًا، لم أكُن مُغتصبا، لم أكُن حانقًا، لم أغيِّر من طبعي وأسب الرب، لم أكن ثرثارًا، ليس لي خطيئةٌ ولم أفعل الشر، لم أضع نفسىٰ عائقًا للمياه، لم أرفع صوتي، لم أغضب الرب، لم أعل من مكانتي، لم يكُن همِّىٰ زيادة ثروتي أكثر مما أستحق، لم أُسِئ لإله مدينتي، أقمتُ العدل في بلد المحبُوب مصر، ولم أُغضب أي إلهٍ ولم تصدر منىٰ معصيةٌ للملك الحاكم، انظروا، أنا جئت إليكم بلا خطيئةٍ وبلا شرٍّ، لا شر داخليا ولا شكوىٰ ضدي ولا أحد يُعارض ما تفوهت به، فأنا أتحدثُ بالحق، وأقتربُ من العدل، فعلت ما أراده الناس وما رضيت به الآلهة،

أرضيتُ الله بما أراد، أعطيتُ الخُبز للجوعىٰ والماء للعطشىٰ واللباس للعرايا، وقاربًا لمن لا قاربَ له، وأعطيتُ قرابين للآلهة ولأرواح الموتىٰ، فأنقذوني، احموني، لا ترفعوا ضدي شكوىٰ أمام الرب العظيم، فمي طاهرٌ ويداي طاهرتان، صنعتُ الحقَّ لرب الحقِّ، وجهىٰ وظهري طاهران وجوفي حقلٌ للعدل، ولا يوجد عضو من أعضائي خالٍ من الصدق»

شريعة حمورابي:

حمـورابي هـو سـادس ملـوك بابـل وأول ملـوك الإمبراطوريـة البابليـة مـن العمـوريين، حكـم بابـل بـين عـامي ١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق. م ويقول الملك حمورابي في مقدمتها علىٰ أنه جاء لينشـر العـدل بـوحي من الآلهة «آنو» و«بيل» وأنه قد وضع القـوانين لتحقيـق الخيـر لشعب بلاده وليهلك الفاسـد والشـرير حتىٰ لا يطغـىٰ القـوي علـىٰ الضـعيف بتكليف من الإلـه «مـردوخ» عنـدما جعـل منـه ملكًـا، أخـذت القـوانين بمبـدأ القصـاص كنـوع مـن العدالـة الانتقاميـة وارتباطـًا بقاعـدة العـين بالعين؛ فإذا كسر رجل عظمة رجل آخر سيكون له ذات الجـزاء بكسـر ذات العظمة، كما كانت تُقابل الجرائم الكبيـرة بعقوبـات مخيفـة، فـإذا قبض علىٰ أم وابنها بارتكاب الزنا كان يتم خرقهما حتّىٰ المـوت، وإذا تواطأ زوجان من العشّاق لقتـل شـركائهما كانـت العقوبـة هـي المـوت بالخازوق لكلّ منهما، كما أن جزاء الابن الـذي يضـرب أبـاه هـو قطـع اليدّ، أمّا فيما يتعلّق بالجرائم التي لا يُمكن إثبات صحّتها أو نفيها مثل جـرائم السـحر، فأتـاح القـانون التحكـيم الإلهـيّ؛ وهـي إحـدىٰ الممارسات غيـر العاديـة؛ حيـث يوضـع المـتهم في موضـع يحتمـل أن يكـون فيـه القاتـل لإثبـات براءتـه، فـإذا قفـز المـتهم إلـىٰ النهـر وغـرق ومات؛ أخـذ المـدّعي حقّـه، وإذا نجّـت الآلهـة المـتهم أُعـدم المـدّعي ليأخذ البريء حقّه.

الفلاسفة:

نأتي بعد هذا لوجهة نظر الفلاسفة الإغريق والرومان بالطبع لأن حضارات دول بأكملها قامت عليها منذ الحضارة الهلنستية الأصلية وحتي يومنا هذا، والكثير من المصطلحات السياسية والأخلاقية والفلسفية استمدت من هؤلاء الفلاسفة المباركين، ابتدأت الفلسفة الأخلاقية عند اليونان بقولها أن هناك خيرًا عظيمًا يجدُّ الإنسان للوصول إليه، ويقصد الحصول عليه لذاته لا لأنه وسيلة إلىٰ شيء غيره، ويمكن تحصيل ذلك الخير بالعمل، ويجب أن تنظم أعمال الإنسان بملاحظة ذلك الخير، وهذا الخير هو السعادة، وهي الغاية القصوىٰ لأعمالنا، وكل غاية غيرها تابعة لها، ولنُسَمِّ هذه النظرية «نظرية السعادة» وهي تقول: «إن السعادة أعظم خير للإنسان، والغاية الأخلاقية من سلوكه.»

وكان أرسطو يرىٰ أن الفضيلة الأخلاقية تكمن في تحاشىٰ التطرُّف في السلوك وإيجاد الحد الوسط بين طرفين، مثال ذلك أن فضيلة الشجاعة هي الحد الوسط بين رذيلة الجبن من طرف ورذيلة التهور من الطرف الآخر. وبالمثل، فإنَّ فضيلة الكرم هي الحد الوسط بين البخل والتبذير.

أما سقراط العظيم؛ فيقول سقراط «إن التمسك بالأخلاق هو من صميم مصلحة الفرد، حتىٰ وإن لم يفهم معظم الأفراد

ذلك. إذا رأينا أحدا يفعل فعلا لا أخلاقيا؛ فهو يفعل ذلك لأنه لا يعرف مصلحته الحقيقية» ويقول سقراط «الأخلاق والفضيلة عبارة عن معرفة. إذا عرفت معنىٰ الخير، سوف تفعل الخير. الناس تفعل الشر لأنها لا تعرف. الناس لا تفعل الشر باختيارها. فعل الشر هو الجهل بعينه» الأخلاق هنا ليست لها علاقة بالجنة والحور عين، ولا بالنار والسعير. إنما عبارة عن معرفة وجهل فقط.

إذن فالناس تسرق وتقتل وتبحث عن الشهرة والمجد، لأنها تعتقد أن هذا هو الطريق للسعادة. لكنهم لا يعرفون معنىٰ السعادة. ولا يعرفون أنفسهم وما يسعدهم. لذلك كما يقول سقراط: «من المهم أن تعرف نفسك. فالحياة غير المفهومة والخالية من البحث والتساؤل لا تستحق أن تعاش»

أما افلاطون فمن المعروف أنه كان من أعظم المدافعين عن موضوعية القيم، أي عن الرأي القائل بأن أحكام الناس فيما هو خير أو شر، وفيما هو صواب أو خطأ، وفيما هو جميل أو قبيح، ينبغي ألا يخضع لمقاييس متغيرة مثل الأذواق الفردية أو التجارب الذاتية أو الآراء الشخصية، وإنما الواجب أن تكون المقاييس التي تخضع لها هذه الأحكام ذات طابع أشمل، لا يخضع للتغير أو التطور، ولا يعترف بالكثرة أو الاختلاف.

وتندرج الرواقية (وهىٰ مدرسة فلسفية أخرىٰ) تحت فلسفة الأخلاقيات الشخصية التي تُستَمَدُّ من نظامها المنطقي وتأملاتها علىٰ الطبيعة. وفقًا لتعاليمها، فإن الطريق إلىٰ اليودايمونيا (السعادة أو الراحة الدائمة) يكون بتقبل الحاضر، وكبح النفس من الانقياد للذة أو الخوف من الألم، عبر مَشُورَةِ العقلِ لفهم العالم وفِعلِ ما تقتضي الطبيعة.

وكان من المعروف تعدد آراء الفلاسفة الإغريق، ولكنهم جميعًا بحثوا في المسألة الأخلاقية، ومن مجادلاتهم ومن منطلق دياناتهم الوثنية صاغ المجتمع الهلنستي الصورة العامة للأخلاق التي أتت بعده المسيحية في مرحلة ضعف نوعا ما في الامبراطورية الرومانية؛ لتنتصر لدين المسيح ولأخلاقه، بل وتحتكر الحق للجنة والطريق للصلاح عن طريق الإيمان بيسوع فقط.

اليهودية:

نذهب سريعـًا لأهم نص ديني يهودي عن الأخلاق، وهو الذي صاغ المفهوم الأخلاقي اليهودي حتىٰ يومنا هذا، وهو الوصايا العشر التي أمر بها الله بني إسرائيل في سفر الخروج، الإصحاح ٢٠ وهي تمثل أهم القوانين الأخلاقية في الديانة اليهودية وتنص علىٰ التالي:

١) لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَىٰ أَمَامِي.

٢) لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ.

٣) لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا.

٤) اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ.

٥) أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَىٰ الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ.

٦) لاَ تَقْتُلْ.

٧) لاَ تَزْنِ.

٨) لاَ تَسْرِقْ.

٩) لا تَشْهَدْ عَلَىٰ قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.

١٠) لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ، لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ.

المسيحية :

أما التعليم الديني المسيحي في الأخلاق فهو أمر متسع وقد يحتاج إلىٰ الكثير من الكتب والتفسيرات، حتىٰ أنه يشمل تعاليم التوراة اليهودية وتعاليم آباء الكنيسة القديسين وكذلك تعاليم أخلاقية أخذتها المسيحية من الأوطان التي تنصرت، ولكن من المعروف والمسلم به أن أعظم نص أخلاقي ديني في المسيحية هو الوارد في الأناجيل علىٰ لسان يسوع في حادثة تسمىٰ (الموعظة علىٰ الجبل) فقد تفوه يسوع في هذه الموعظة بأهم اخلاقيات جاء بها وهي في الحقيقة ثورة في عالم الأخلاق منذ وقتها وحتىٰ يومنا هذا، ونورد هنا بكل تبجيل وتكريم نص الموعظة علىٰ الجبل كما ورد بإنجيل (متىٰ) من بداية الإصحاح الخامس، وتقول:

«ولما رأىٰ الجموع صعد إلىٰ الجبل. فلما جلس تقدم إليه تلاميذه. ففتح فاه وعلمهم قائلا:

طوبىٰ للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السموات. طوبىٰ للحزانىٰ. لأنهم يتعزون. طوبىٰ للودعاء. لأنهم يرثون الأرض. طوبىٰ للجياع والعطاش إلىٰ البر. لأنهم يشبعون. طوبىٰ للرحماء. لأنهم يرحمون. طوبىٰ للأنقياء القلب. لأنهم يعاينون الله. طوبىٰ لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يدعون. طوبىٰ للمطرودين من أجل البر. لأن لهم ملكوت السموات. طوبىٰ لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا

عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا. لأن أجركم عظيم في السموات. فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم. أنتم ملح الارض. ولكن أن فسد الملح فبماذا يملح. لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس. أنتم نور العالم. لا يمكن أن تخفىٰ مدينة موضوعة علىٰ جبل. ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل علىٰ المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذي في السموات. لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل. فإني الحق أقول لكم إلىٰ أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتىٰ يكون الكل. فمن نقض إحدىٰ هذه الوصايا الصغرىٰ وعلم الناس هكذا يدعىٰ أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلّم فهذا يدعىٰ عظيما في ملكوت السموات. فاني أقول لكم أن كان لم يزد بركم علىٰ الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات. قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم أن كل من يغضب علىٰ أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم. فإن قدمت قربانك إلىٰ المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربانك. كن مراضيا لخصمك

سريعا ما دمت معه في الطريق. لئلا يسلمك الخصم إلىٰ القاضي ويسلمك القاضي إلىٰ الشرطي فتلقىٰ في السجن. الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتىٰ توفي الفلس الأخير. قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلىٰ امرأة ليشتهيها فقد زنىٰ بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنىٰ تعثرك فاقلعها والقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقىٰ جسدك كله في جهنم، وإن كانت يدك اليمنىٰ تعثرك فاقطعها والقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقىٰ جسدك كله في جهنم وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. وأما أنا فأقول لكم أن من طلّق امرأته إلا لعلّة الزنىٰ يجعلها تزني. ومن يتزوج مطلّقة فانه يزني أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسي الله. ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه. ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. وما زاد علىٰ ذلك فهو من الشرير. سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك علىٰ خدك الايمن فحوّل له الآخر أيضـًا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضـًا. ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول

لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. احسنوا إلىٰ مبغضيكم. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فإنه يشرق شمسه علىٰ الأشرار والصالحين ويمطر علىٰ الأبرار والظالمين. لأنه أن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم. أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك. وإن سلمتم علىٰ أخوتكم فقط فأي فضل تصنعون. أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل

احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات. فمتىٰ صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الازقة لكي يمجّدوا من الناس. الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتىٰ صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك. لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرىٰ في الخفاء هو يجازيك علانية. ومتىٰ صلّيت فلا تكن كالمرائين. فإنهم يحبون أن يصلّوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس. الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتىٰ صلّيت فادخل إلىٰ مخدعك واغلق بابك وصلّ إلىٰ أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرىٰ في الخفاء يجازيك علانية. وحينما تصلّون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم. فانهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم. فلا تتشبهوا بهم. لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.

فصلّوا أنتم هكذا. أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك علىٰ الارض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضـًا للمذنبين إلينا. ولا تدخلنا في تجربة. لكن نجنا من الشرير. لأن لك الملك والقوة والمجد إلىٰ الأبد. آمين. فانه أن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضـًا أبوكم السماوي. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضـًا زلاتكم. ومتىٰ صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فانهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتىٰ صمت فادهن رأسك واغسل وجهك. لكي لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرىٰ في الخفاء يجازيك علانية. لا تكنزوا لكم كنوزا علىٰ الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضـًا. سراج الجسد هو العين. فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما. فإن كان النور الذي فيك ظلاما فالظلام كم يكون. لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال. لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم

بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. انظروا إلىٰ طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلىٰ مخازن. وابوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها. ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد علىٰ قامته ذراعا واحدة. ولماذا تهتمون باللباس. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم أنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدا في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جدا يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان. فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فان هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلىٰ هذه كلها. لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم. فلا تهتموا للغد. لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره. لا تدينوا لكي لا تدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون. وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم. ولماذا تنظر القذىٰ الذي في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها. أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذىٰ من عينك وها الخشبة في عينك. يا مرائي اخرج أولا الخشبة من عينك. وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذىٰ من عين أخيك. لا تعطوا القدس للكلاب. ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير. لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم. اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ. ومن يطلب يجد. ومن يقرع يفتح له. أم أي

إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزا يعطيه حجرا. وإن سأله سمكة يعطيه حية. فإن كنتم وأنتم أشرارا تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه. فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء ادخلوا من الباب الضيق. لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلىٰ الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلىٰ الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه. احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا. هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة. وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا رديّة. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع اثمارا رديّة ولا شجرة رديّة أن تصنع أثمارا جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقىٰ في النار. فإذا من ثمارهم تعرفونهم. ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرّح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم. فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنىٰ بيته علىٰ الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت علىٰ ذلك البيت فلم يسقط.

لأنه كان مؤسسا علىٰ الصخر. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبّه برجل جاهل بنىٰ بيته علىٰ الرمل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط. وكان سقوطه عظيما»

فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه. لأنه كان يعلّمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة.

الإسلام:

حتىٰ الآن نحن درسنا فقط المسيحية من الزاوية الانجيلية المتفق عليها من كل الطوائف، وقبل أن نري الطوائف المتعددة وآرائها نذهب تدريجياً بالزمن إلىٰ الرؤية الأخلاقية في الإسلام؛ لأن هذا هو التدرج الزمني، ظهور المسيحية وعصور الكنيسة الأولىٰ؛ ثم ظهور الإسلام ليحتل مكان المسيحية كدين رسمي للخلافة الإسلامية المترامية الأطراف.

تقول المدرسة الاسلامية السنية التقليدية أن الأخلاق الإسلامية مصدرها القرآن الكريم وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم، ولا مدخل فيها للآراء البشرية، أو النظم الوضعية، أو الأفكار الفلسفية، ولذا اتسمت الأخلاق الإسلامية بسمة الخلود والصدق والصحة، وتقول الرؤية الإسلامية عن نفسها بتوافق الأحكام المسلمة مع فطرة الإنسان بالضرورة لأنها صادرة من الله واضع الفطرة نفسه.

أخلاق الإسلام ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالجزاء، سواء في الدنيا أو الآخرة، لذا وُجِدَ الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فالأخيار من الناس؛ جزاؤهم عظيم في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما أعده الله لهم في الآخرة كما في قوله تعالىٰ:

وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ٧٢].

وكذلك ما وعدهم الله به في الدنيا من الجزاء العاجل، قال تعالىٰ:

وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ [الطلاق ٢-٣]

وقال أيضًا:

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّىٰ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ [الزمر: ١٠].

وأما الأشرار من الناس فقد توعدهم الله عزَّ وجلَّ كما في قوله تعالىٰ:

فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ [الحج: ١٩-٢٢].

وأما جزاؤهم في الدنيا فمثاله قوله تعالىٰ:

وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ [النحل: ١١٢]

ولأن الرسول (ص) قد كان أول من أسس دولة الإسلام، فإن الإسلام به فكرة تشريع كامل للدولة خلافًا للأديان الأخرىٰ، فهو دين

ودولة، بمعني أن الخليفة هو أمير المؤمنين وأن الزكاة توضع في بيت المال بالدولة وليست المؤسسة الدينية، أي أن الإسلام وضع تشريع للدولة كمثل التشريع للفرد المؤمن، لذلك حق علىٰ الدولة أن تهتم بالجانب الديني الأخلاقي للمؤمن كمثل اهتمامها بالجانب الاجتماعي، لهذا فهي دولة إسلامية، بينما أن قلنا دولة مسيحية فهو أمر لا يتطابق مع تعاليم المسيح الصريحة في الإنجيل لأنه فصل بين الدين والدولة وقال «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» وقال ايضـًا «إن مملكته – أي الإيمان المسيحي – ليس من هذا العالم» وأردنا فقط تفسير لماذا يضع الإسلام الحدود الأخلاقية التي جاءا بها الدين والسنة موضع هام حتىٰ من قبل الحاكم للدولة، ولكن مع بساطة الأحكام الإسلامية نفسها مقارنة مع دين كالمسيحية يتطلب الكثير من الأخلاقيات العالية فإن حياة المواطن المسلم في دولة مسلمة وسطية أمر ليس بشاق، والدليل علىٰ ذلك بصورة واضحة جلية أن الدولة الاسلامية قديمـًا أو دولة الخلافة تعالت جداً في أوضاعها الاجتماعية ولم تمِل للتقشف أو التزهد مثلاً، لأن هذا أمر غير مرغوب في الإسلام؛ الإسلام يدعوا لحياة التمدن العادية وليس الرهبانية أو النسك مثلاً.

العصور الوسطى :

أما بالنسبة للعصور الوسطىٰ فقد سادت فيها مرحلة ما تسمىٰ بالمياه الراكدة؛ حيث كانت الكنيسة تحكم في الغرب بكل أريحية والخلفاء يحكمون شعوبهم في الشرق بكل شرعية دينية، والأمور تسير برتابة علىٰ هذا المنوال ولم تكن هناك ثورات كبيرة، والسبب هو إيمان الشعوب المتمسكة جداً بالأديان التي توارثوها، وأما ما يمكن أن نسميه حركة ثورية كبرىٰ فكانت البروتستانتية في الغرب التي ظهرت علىٰ يد الراهب الكاثوليكي المنشق (مارتن لوثر) ويسميه أتباعه أبو الإصلاح، وهو الذي أسس الفكر الإنجيلي والكنائس الإنجيلية الحديثة، وكانت تدعوا لترك تقاليد الكنيسة المتوارثة والعودة إلىٰ روح الإنجيل البسيطة، تدعوا لعدم سلطة الكهنة وتنادي بالعبادة المباشرة دون وسيط بين المؤمن وربه، تدعوا لتغليب العقل أحياناً، وتدعوا لإيمان راديكالي مهووس أحياناً أخر، وهذا في رأيي طبيعة الحال عموماً في الإيمان المسيحي الذي خلط ما بين الروحانية القصوىٰ والعقلانية الرشيدة، وكانت البروتستانتية دافعاً لتغيير مفاهيم أخلاقية كثيرة، منها رفض فكرة الرهبنة مثلاً مع السماح بالبتولية لمن يريد دون منصب كنسي كالرهبان، فالكاهن الإنجيلي يرتدي

قميصــًا وبنطــالاً ويتــزوج، لان الــزواج شــيء مقــدس نــص عليــه الإنجيــل. الإيمــان بمبــدأ الخــلاص في لحظــة بمعنــي فــور قبــولي الإيمــان بيســوع ربــا وخلصــًا تتغيــر أخلاقــي بالنعمــة آليــا لأصــبح شخصــًا مــن الــذين ســيدخلون الملكــوت، وبالتــالي شــخص صــالح في هــذه الحيــاة ومــن مجــرد صــلاة صــغيرة تقــول فيهــا أنــك تقبــل يســوع علىٰ عكــس الأرثــوذكس والكاثوليــك الــذين يعلمــون صــراحة أنــه بعــد الإيمــان والمعموديــة لابــد مــن الجهــاد الشخصــي ضــد أنــواع الخطيــة المختلفــة ســواء مــن الــنفس أو الشــيطان. قــرار المعموديــة وقبــول الإيمــان يجــب أن يصــدر مــن شــخص ناضــج عمريــًا، وليســت معموديــة الاطفــال مــن قبــل آبــائهم مقبولــة لــدي البروتســتانت، لــذا فهــم يحترمــون القــرار الشخصــي الناضــج. عــدم التســليم التــام بتعــاليم القديســين وآبــاء الكنيســة بــل أن كــل مــؤمن يتوجــه في أخلاقياتــه وأســلوب عبادتــه وإيمانياتــه مــن قبــل روح الله الــذي يســكن بــه فيوجهــه، حتــىٰ أنــه قــد يوجــه المــؤمن إلــىٰ تــرك كنيسته البروتســتانتية وتكــوين كنيســة أخــرىٰ بفكــر مختلــف ويبقــي الشــخص بروتســتانتيًا لأنــه حــر في إيمانــه وبنوتــه للمســيح. قِــس علــىٰ ذلــك موضــوع البنــوة والحريــة في الإيمــان، تلــك أمــور كثيــرة منهــا تفســير الإنجيــل حســب حريــة عقــل القــارئ (ومــا يعلنــه لــه الله بينمــا يــدرس الكتــاب) وأن الإنســان المــؤمن العــادي هــو كــاهن ورئيس كهنة، الخ،

وفي النهاية يمكن تلخيص الفكر الأخلاقي البروتستانتي كما أسلوب عبادتهم بالحرية الأخلاقية فيما لا يختلف مع منطق الإنسان والروح القدس (المؤمنين بأنه سكن في المؤمن بالمعمودية) لهذا فالمؤمن البروتستانتي حر فيما يصل إليه برحلته الروحانية الذاتية وحسب قصد الله له شخصياً المعلن له داخلياً بالروح القدس، كذلك تلك الحرية بعدم التقيد بما يسمي (بآباء الكنيسة وتفسيراتهم) لأن للإنسان الحق وحده أن يفسر ويفهم كلمة الله بما يعطيه داخله من تفسير لها.

الشيوعية :

لما كانت البروتستانتية إعلان نهائي بتقييد سلطة الكنيسة في الغرب وإعطاء مساحة حرية أكبر للشعوب الغربية بأن يخرجوا أخيراً من تحت سلطان الكنيسة الراسخ منذ قرون؛ فقد ظهرت بعدها الأفكار الإلحادية بضراوة وإعلان غير حذر، وظهرت الثورات المادية والفلسفات المادية، تزامناً مع التطور الصناعي الذي غير صورة المجتمع الغربي ككل، فأصبح العالم الغربي هو العالم الأول بلا منازع، والسبب هو الحرية وامتلاكه للصناعة وما ينتج عن هذا من رخاء وثراء، ومن أعظم الفلسفات التي ظهرت وصنعت ثورة هي النظرية الشيوعية التي قامت بثورة علىٰ كل القيم من مختلف النواحي: دينياً أعلنت الإلحاد الكامل المبني علىٰ العلم، اقتصاديا بتحرير طبقة البروليتاريا الكادحة، وسياسياً بالثورة علىٰ النظم الملكية القديمة وإعلان الجمهورية. ومما هو معلوم أن أعظم وأهم تلك التجارب الشيوعية كان هو الاتحاد السوفيتي.

وبعيداً عن المعلومات التاريخية فإن فكرة الأخلاق لدي الشيوعية كان يجب البت فيها ووضع فكر صريح واضح عن الأخلاق في المجتمع الشيوعي من قبل المفكرين الذين لا يؤمنون إلا بالمجتمع، أي؛ لا رب ولا تشريعات إلهية، ومن مقال لعالم النفس الشيوعي السوفيتي (فيكتور نيكولافيتش) يقول:

(إن النظام الشيوعي الأول في التاريخ هو الذي دمر أغلال الرقيق، ودمر نظام الإناث عن الاستغلال البشري من قبل شخص. أظهروا العالم كله مثالا علىٰ كيفية بناء المجتمع العادل المجاني الذي يخدم شخص، يعطيه السعادة، يجعل المجتمعات أفضل نظافة، أكثر جمالا، تعيد الاشتراكية تثقيف شخصا في الظهور، من خلال تكثيفه للامتثال لقواعد وقوانين الأخلاق الشيوعية الجديدة. ولدت الأخلاق الشيوعية في الكفاح الثوري ضد قوة وتقاليد الماضي. دعمها هو نظام اجتماعي جديد - الاشتراكية. لذا فمن الضروري بناء مجتمع شيوعي، لرفع الأشخاص الذين يمكنهم البناء والعيش بالشيوعية.)

إذا فالأخلاق من الأمور الهامة التي اهتم بها الشيوعيين؛ بسبب أنهم تخلوا عن الدين نهائيـًا؛ وكان يجب أن يصلوا إلىٰ صيغ أخلاقية جديدة غير مستمدة من الأديان؛ بل من الحاجة الاجتماعية لها. كذلك أن التغيير الكامل لصورة المجتمع بعد تطبيق الشيوعية يجعل هناك بالفعل أخلاقيات تظهر وأخلاقيات أخرىٰ تختفي، لهذا فالأخلاق في الشيوعية أمر مطلوب، كُتب عنها الكثير وتحدث عنها منظري الشيوعية كثيراً.

نأتي بعد ذلك للأديان الوثنية الباقية ومسلماتها الأخلاقية لنجد أن كل دين يختلف اختلافا تاما عن الآخر كما ذكرنا.

الكونفوشيوسية :

وما أعظم الكونفوشيوسية تلك التي قدمت أعظم حكمة الصين في إيمان كامل جعل تهذيب الشعب الصيني مضرب الأمثال، لم يكن كونفوشيوس نبيًّا، ولم يدّعِ ذلك، بل يعتقدون أنه من الذين وُهِبوا تفويض السماء لهم ليقوموا بإرشاد الناس وهدايتهم، فقد كان مداومـًا علىٰ إقامة الشعائر والطقوس الدينية، وكان يعبد الإله الأعظم والآلهة الأخرىٰ علىٰ غير معرفة بهم ودون تثبُّت من حقيقة الآراء الدينية تلك.

كان كونفوشيوس مغرمـًا بالسعي لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها وهي مدينة مثالية لكنها تختلف عن مدينة أرسطو الفاضلة، إذ أن مدينة كونفوشيوس مثالية في حدود واقعٍ ممكن التحقيق والتطبيق، بينما مدينة أرسطو تجنح إلىٰ مثالية خياليةٍ بعيدة عن مستوىٰ التطبيق البشري القاصر. وكلا الفيلسوفان معاصران.

الجنة والنار؛ لا يعتقدون بهما، ولا يعتقدون بالبعث أصلاً، إذ أن همَّهم منصبّ علىٰ إصلاح الحياة الدنيا، ولا يسألون عن مصير الأرواح بعد خروجها من الأجساد. وقد سأل تلميذٌ أستاذه كونفوشيوس عن الموت، فقال: «إننا لم ندرس الحياة بعد، فكيف نستطيع أن ندرس الموت»

الجزاء والثواب؛ إنما يكونان في الدنيا، أن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر.

القضاء والقدر؛ يعتقدون بذلك، فإن تكاثرت الآثام والذنوب كان عقاب السماء لهم بالزلازل والبراكين.

الحاكم ابن للسماء؛ فإذا ما قسا وظلم وجانب العدل فإن السماء تسلّط عليه من رعيته من يخلعه ليحلّ محلّه شخص آخر عادل.

الأخلاق؛ هي الأمر الأساسي الذي تدعو إليه الكونفوشيوسية، وهي محور الفلسفة وأساس الدين، وهي تسعىٰ إليه بتربية الوازع الداخلي لدىٰ الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر علىٰ حياته النفسية مما يخضعها للقوانين الاجتماعية بشكل تلقائي.

تظهر تلك الأخلاق في:

- طاعة الوالد والخضوع له.
- طاعة الأخ الأصغر لأخيه الأكبر.
- طاعة الحاكم والانقياد إليه.
- إخلاص الصديق لأصدقائه.
- عدم جرح الآخرين بالكلام أثناء محادثتهم.
- أن تكون الأقوال علىٰ قدر الأفعال، وكراهية ظهور الشخص بمظهر لا يتفق مع مركزه وحاله.
- البعد عن المحسوبية في الوساطة أو المحاباة.

وتظهر أخلاق الحاكم في:

- احترام الأفراد الجديرين باحترامه.
- التودّد إلىٰ من تربطهم به صلة قربىٰ وقيامه بالتزاماته حيالهم.
- معاملة وزرائه وموظفيه بالحسنىٰ.
- اهتمامه بالصالح العام، مع تشجيعه للفنون النافعة والنهوض بها.
- العطف علىٰ رعايا الدول الأخرىٰ المقيمين في دولته.
- تحقيق الرفاهية لأمراء الإمبراطورية ولعامة أفرادها.

البوذية :

الصياغة الأكثر شمولاً للأخلاق البوذية المبكرة والتي ربما كانت شائعة لدى التلاميذ الرهبان والناس العاديين، وهي قائمة من عشرة أفعال مظلمة أو ضارة ونقيضها، الأفعال العشرة المشرقة أو المفيدة:

١. ثلاثة أفعال جسدية (الامتناع عن القتل والسرقة وسوء السلوك الجنسي).
٢. أربعة أفعال لفظية (الامتناع عن الكلام الكاذب والمثير للانقسام والقاسي وغير المجدي).
٣. الأفعال العقلية الشجرية (الامتناع عن الطمع وسوء النية والآراء العقائدية).

أما الكارما فهي القانون الأخلاقي الأساسي للكون وفقًا للبوذية المبكرة هو ما يُطلق عليه عمومًا قانون الكارما، تؤدي الأفعال الجيدة إلى نتائج جيدة وتؤدي الأفعال السيئة إلى عواقب وخيمة، ويمكن تجربة عواقب الإجراءات الإرادية في هذه الحياة أو في الحياة اللاحقة، وعلى الرغم من أن كل ما نختبره ليس بسبب أفعال سابقة إلّا أنه يُعتقد أن المظهر الجسدي والشخصية والعمر والازدهار ووجهة إعادة الميلاد تتأثر بالأفعال السابقة.

تتضمن الأخلاق البوذية المبكرة أكثر من قوائم التعاليم وأكثر من القسم الخاص بالتدريب الأخلاقي للمسار النبيل الثماني، وهذا يعني أن الأخلاق البوذية لا يمكن اختزالها في العمل الصحيح (الامتناع عن القتل والسرقة والكذب)، والكلام الصحيح (الامتناع عن الكلام الكاذب والمثير للانقسام والقاسي وغير المجدي)، والمعيشة الصحيحة (الامتناع عن المهن التي تضر بالكائنات الحية)، وإلىٰ جانب الإجراءات الجسدية واللفظية يناقش «بالي نيكياس» مجموعة متنوعة من الإجراءات العقلية بما في ذلك الأفكار والدوافع والعواطف ووجهات النظر، وفي الواقع فإنّ أخلاقيات الأفعال العقلية هي التي تشكل الشغل الشاغل لتعاليم بوذا.

الزرادشتية :

عد زرادشت فيلسوفا حكيما جمع بين حاجات الانسان للحياة وفق قواعد أخلاقية إصلاحية وأخرىٰ دينية أخروية، فمن لم يعتقد بنبوته لا يختلف علىٰ حكمته وفلسفته العميقة، وهي فلسفة تنطلق من فكرة التوحيد الإلهي رمزا للرحمة والخير، وتتواصل في معترك الحياة بقيم أخلاقية وروحية رفيعة، وهو يتجسد في الفضائل السبع التي يؤمن بها الزرادشتيون، وهي الحكمة، العفة، الإخلاص، الكرم، الشجاعة، العمل والأمانة وتأتي من «سبتامينو» أو القوة المقدسة، وهي الإدراك أو الأنا العليا بمفهوم علم النفس. بينما تأتي الرذائل السبع وهي: الخيانة، الجبن، البخل، الظلم، إزهاق الأرواح، النفاق، والخداع، وتأتي من أنكرة مينوا أو القوة الخبيثة، وهي عدم الإدراك، ويحتدم الصراع بين القوتين داخل كل إنسان، حتىٰ تنتصر قوة الخير، فيصل إلىٰ قمة الصفاء.

وللعلم، فقد تقلص أتباع الزرادشتية في العالم، فلا يتجاوزن ٣٠٠٠٠٠ تابع في العالم بحسب تقديرات الأمم المتحدة ومنهم ١٠٠٠٠٠ تابع يعيشون في الهند و٥٠٠٠٠ تابع في(كراتشي) باكستان و٢٥٠٠٠ تابع في امريكا وكندا. والباقي يعيشون في جمهورية ايران الاسلامية، إذ بقي أقل من ١٠٠،٠٠٠ تابع في عموم إيران. وتعترف الحكومة الاسلامية في إيران بديانتهم رسميّا ولهم عضو في البرلمان الإيراني.

البهائية :

الأخلاق في البهائية؛ يقول منظري البهائية (وهي دين حديث نسبيًا يقول عن نفسه أنه مكمل للرسالات الإبراهيمية) وهو يدعو في الغالب إلىٰ التطور النفسي والعقلي، وأن هناك عوامل عدّة تساهم في هذا التّطوّر، من بينها الدّعاء، التّأمّل والتفكير، الرّغبة في التّعلم، والجهد اليوميّ المستمرّ –لا سيما في خدمة الإنسانيّة_ أن الاهتمام المبالغ بالذات يمكن أن يكون له نتائج عكسية علىٰ كفاحنا من أجل عيش حياة روحانيّة. ويقول حضرة «بهاء الله» نفسه بأنّ علينا أن نركّز أفكارنا علىٰ «إِصْلاَحِ الْعَالَمِ وَتَهْذِيبِ الأُمَمِ.» ويتابع «لَمْ يَزَلْ كَانَ إِصْلاَحُ الْعَالَمِ بِالأَعْمَالِ الطَّيِّبَةِ الطَّاهِرَةِ والأخلاق الرَّاضِيَةِ الْمَرْضِيَّةِ» وقد كتب عبد البهاء: «فما أشرف الإنسان وأعزّه أن هو قام بما ينبغي ويليق به، ثمّ ما أرذله وأذلّه أن قضىٰ عمره الغالي منهمكًا في منافعه الذّاتيّة وأغراضه الشّخصيّة مغمضًا الطّرف عن منفعة الجمهور»

****

كونفوشيوس

الأخلاق. الإخلاص. المعرفة؛ هي مفردات أساس الفلسفة الكونفوشيوسية.

أن سبب اختياري للكونفوشيوسية لتكون أطروحة رئيسية عن الأخلاق أقدمها للقارئ العربي في كتابي هذا، أولا لأن الكونفوشيوسية تعليم أخلاقي أكثر منه ديني، وثانياً لأنها كأطروحة أخلاقية قد قدمت أسمىٰ الأخلاق كلها، وهذا يثبته النظام والتربية بالمجتمع الصيني حتىٰ الآن بالرغم من شيوعية الدولة، إذ أن الشعب الصيني في استقائه للحكمة والمثل الأخلاقية يأخذها عن الكونفوشيوسية حتىٰ يومنا هذا، والكونفوشيوسية نسبة إلىٰ كونفوشيوس المعلم الأخلاقي استمدت عقيدتها الدينية الإيمانية من العقيدة الصينية القديمة من قبله والتي كان يتبعدون فيها لرب السماء دون أن يحددوا له اسماً أو شكلاً أو هيئة، وهنا أتىٰ كونفوشيوس ليؤكد الأمر أن المعبود الإله حقاً يسكن السماء، ومن ثم أضاف عقيدته الأخلاقية التي من أهم مبادئها أن الحياة الدنية يجب أن يسعد فيها الإنسان، وهذا عن طريق تقيده بالحكمة وتطبيق الأخلاق الحميدة في المجتمع وبين الأفراد.

الكونفوشيوسية هي النظرة العالمية للسياسة والتعليم والأخلاق التي درَّسها كونفوشيوس وأتباعه في القرنين الخامس والسادس قبل

الميلاد. وعلىٰ الرغم من أن الكونفوشيوسية ليست دينًا معروفًا إلا أنها تشتمل علىٰ قواعد للتفكير والحياة وتركز علىٰ الحب والإنسانية، وعبادة ما قدَّمه الأسلاف، واحترام كبار السن والانضباط الذاتي والالتزام بالطقوس.

منذ القرن الرابع قبل الميلاد أُعتبر كونفوشيوس حكيمًا وله ثقلاً كبيراً في عصره. وأما عن مؤلفاته فقد قام كونفوشيوس بكتابة وإعادة صياغة العديد من أهم الأعمال الكلاسيكية التقليدية الصينية فقد جمع ونظّم وقام بإعادة صياغة كتاب «الأغاني» وهو من أقدم كتب الشّعر الصينية، وقام لاحقًا العديد من العلماء الصينيين بشرحه وتدريسه، بالإضافة إلىٰ كتاب «التاريخ» وكتاب «الربيع والخريف» والذي دوّن فيه تاريخ مدينته «لو» وتاريخ حكامها.

وقام أتباعه وطلابه بتجميع تعاليمه وفلسفته في كتبٍ أربعة أهمّها كتاب «لون يو» أيّ المختارات، وهو كتاب يحوي مختارات من أقول كونفوشيوس وحِكَمه وقد انتشر كتاب لون يو انتشار كبيرًا وتُرجِم إلىٰ الإنجليزية.

لقد سعىٰ إلىٰ تعليم تلاميذه الأخلاق والكفاءة، اقتناعا منه بأن هدف التعليم هو بناء شخص كريم الخلق، وكان يطلب من تلاميذه أن يقرأوا أمهات الكتب ثم يشرحها لهم بصورة إبداعية، واستطاع أن يعلم تلاميذه من الواقع ويثقفهم وفقا لاستعدادات كل منهم ويوقظ

ضمائرهم ويجعلهم يتعلمون ذاتيا ويتنافسون في الدراسة، ويبذلون أقصىٰ الجهود في سبيل التقدم.

وتحتل التربية الأخلاقية مكانة محورية في النظام التعليمي الكونفوشيوسي، أما التربية في المجالات الأخرىٰ فتحتل مكانة ثانوية، ورأىٰ كونفوشيوس أيضا أن ممارسة السياسة تعتمد علىٰ الأخلاق أساسيا، بينما تأتي المهارات الأخرىٰ في مراتب تالية.

يعتبر الفكر الكونفوشيوسية، أول فكر منهجي في تاريخ الثقافة الصينية، وهناك مثل صيني قديم يقول: «تتدفق الثقافة التقليدية الصينية مثل مياه نهر يجري آلاف السنين ولكنها لم تغمر ضفة النهر التي أقامها كونفوشيوس» حيث أوضح العلاقات الاجتماعية، واضعًا «النزعة الخيرية» محورًا أساسيًا وتتمثل في معاملة الآخرين بأدب خصوصًا الأبوين والأخوة والأخوات، وهي المبادئ الأخلاقية والتربية والسياسة، التي شكلت منظومة كاملة وضعها كونفوشيوس، وقد أصبحت تلك المثل العليا الهدف الذي يسعىٰ إليه الصينيون جيلا بعد جيل.

استندت فلسفة كونفوشيوس الاجتماعية في المقام الأول إلىٰ مبدأ «حب الآخرين» مع ممارسة الانضباط الذاتي. وأعرب عن اعتقاده أن حب الأخرين يمكن تنفيذه باستخدام القاعدة الذهبية والتي تنص علىٰ «ما لا تتمناه لنفسك، لا تفعله للآخرين»

فما هي أفكار كونفوشيوس التي بسطت الأرضية الفكرية لتطور الثقافة الصينية؟

هناك ٣ نقاط رئيسية:

- أولا الروح العملية.
- ثانيا الإعلاء من شأن الأخلاق.
- ثالثا إرساء تقاليد تقدير التجربة التاريخية.

رغم أن كونفوشيوس يؤمن بالقضاء والقدر، لكنه ليس الشخص الذي ينتظر ترتيبات الأقدار. بل يؤمن كونفوشيوس بضرورة بذل الإنسان كل ما في وسعه للوصول إلىٰ أعلىٰ المراتب. حيث يقول «إذا تعلّمت فلا تقْنع، وإذا علّمت فلا تكلْ» وفي حديثه عن حياته يقول: «انهمكت في الدراسة حتىٰ نسيت الطعام، وفي السعادة حتىٰ نسيت الخوف، ودون أن أشعر وجدت العمر قد جرىٰ بي» ويقول أيضا «كم سيء أن تكتفي بملء البطن دون أن تفعل شيئا مفيدا في يومك» فروح العمل والإنجاز تبدو جلية في كامل أركان البنية الفكرية لكونفوشيوس.

لقد كان كونفوشيوس مُنظّرا سياسا بارعا، وينبني فكره السياسي علىٰ ثلاثة نقاط رئيسية: أولا الحُكم وفقا للأخلاق. ثانيا مركزية السلطة. ثالثا معارضة الاستبداد الفردي واحتكار الوزراء للسلطة. حيث يولي كونفوشيوس أهمية كبيرة لدور الأخلاق في السياسة،

ويطالب الحاكم بأن يعطي القدوة الأخلاقية للناس، حيث يقول في هذا الجانب: «السياسة هي الاستقامة، فإذا كان الحاكم مستقيما، هل سيجرؤ المحكوم على ألا يستقيم؟»

ويطرح مفهوم الران في مرتبة القيمة العليا للأخلاق، وهذا المفهوم في معناه الضيق هو: حب الآخر» لكن بصفته علاقة متحركة داخل المجتمع، يعني تبادل الفضيلة بين الناس»

يشرح كونفوشيوس هذه العلاقة القائمة على حب الآخر فقط حينما تعامل الناس بقلب مُحب، سيعاملك الناس بالحب، وحينما تعاملهم بتسامح سيعاملونك بتسامح غير أن مفهوم الران في الكونفوشيوسية، لا يتوقف عند تبادل الفضيلة. بل يعني أيضا أن تحب للآخرين ما تحبه لنفسك، فإذا كنت تريد لنفسك النجاح، يجب أن تساعد الآخرين أيضا على النجاح. وإذا كنت تريد التقدم، يجب أن تساعد الآخرين على التقدم أيضا.

تظهر أهمية الأخلاق لدى كونفوشيوس في تقديمه الفضيلة على الحياة، فهو يرى أن الإنسان عليه في بعض الحالات أن يضحي بحياته من أجل تحقيق الفضيلة. حيث يقول: «صاحب العزيمة والفضيلة، لا يقبل التضحية بالفضيلة من أجل الحياة، بل يقبل التضحية بالحياة من أجل الفضيلة»

وهذا لا يعني ميول كونفوشيوس إلىٰ الزهد، علىٰ العكس، يرىٰ بأن هناك علاقة متلازمة بين الحياة المعنوية والحياة المادية. ويعتقد أن الحياة المادية هي أساس تكون القيم المعنوية لدىٰ الإنسان، إذ فقط حينما تتم معالجة المشاكل المادية التي يعانيها الإنسان، يمكن رفع المستوىٰ الأخلاقي للمجتمع. حينما زار كونفوشيوس «دولة وي» وكان تلميذه يسوق العربة، تعجب كونفوشيوس قائلا: عدد السكان هنا كبير! فسأله تلميذه: ما لعمل إذا كان عدد السكان كبير؟ فقال كونفوشيوس: نجعلهم أثرياء، فسأله تلميذه مرة أخرىٰ: وماذا بعد ذلك. قال كونفوشيوس: ثم نعلمهم!

إذا فأن الفلسفة التي قدمها كونفوشيوس تضاد فلسفة الامتناع عن الملذات التي جاء بها بوذا ولا تتفق مع فلسفات التسامي المسيحي في الأخلاق الضميرية ولكنها تقدم نموذج فلسفي أخلاقي وتربوي يستطيع المجتمع أن يجد قواعده عليه، ويستطيع الفرد أن يرتكن إليه كتربية أخلاقية واقعية جداً.

وإليك باقة من أجمل أقول المعلم كونفوشيوس:

«لا يهم مدىٰ بطئك طالما أنك لا تتوقف» في بضع كلمات، يعلمنا كونفوشيوس عن الصبر والمثابرة والانضباط والعمل الجاد. ولكن إذا استطلعت المزيد، سترىٰ المزيد من الطبقات. لقد أثرت فلسفة كونفوشيوس، التي تشبه الفكر الإنساني، بشكل كبير في الفكر الروحي والاجتماعي. وجهات نظره تحمل البصيرة وعمق الحكمة، يمكنك تطبيق تعاليمه في كل مجال من مجالات الحياة.

الأمثال الكونفوشيوسية لها القدرة علىٰ تحويل الأرواح، لكنها ليست للقراءة العادية. عندما تقرأهم مرة، تشعر بقوة كلماته. قراءة مرتين، وسوف نقدر تفكيره العميق ؛ قراءتها مرارا وتكرارا، وسوف تكون أنت المستنير.

دع هذه الاقتباسات الكونفوشيوسية تقودك في الحياة.

«كل شيء له جمال، لكن ليس الجميع يراه»

«يجب عليهم في كثير من الأحيان تغيير من سيكون ثابتا في السعادة أو الحكمة»

«ما يسعىٰ إليه الرجل المتفوق هو نفسه؛ ما يسعىٰ إليه الرجل الصغير في الآخرين»

«في بلـد يحكـم بشـكل جيـد، الفقـر هـو شـيء يجـب أن يخجل منه. في بلد يحكمه حكم سيئ، فإن الثروة شيء تخجل منه»

«لا يهم مدىٰ بطئك ما دمت لا تتوقف»

«عندما يرتفع الغضب، والتفكير في العواقب»

«عنـدما يكـون مـن الواضـح أنـه لا يمكـن الوصـول إلـىٰ الأهداف، لا تقم بتعديل الأهداف ؛ قم بضبط خطوات الإجراء»

«مواجهة ما هو صحيح، لـترك هـذا التراجـع يظهـر عـدم وجود الشجاعة»

«لكي تكون قادراً علىٰ ممارسة خمسة أشياء في جميع الظروف، تشكل فضيلة كاملة؛ هذه الأشياء الخمسة هي الجاذبية، كرم النفس، الإخلاص، الجدية، واللطف»

«رؤيـة مـا هـو صـحيح، وعـدم القيـام بـه، هـو الرغبـة في الشجاعة أو المبدأ»

«نـادرا مـا تـرتبط الكلمـات الجميلـة والمظهـر الملمـح بالفضيلة الحقيقية»

«قبل أن تشرع في رحلة انتقامية، احفر مقبرتين»

«يعتمد النجاح علىٰ الاستعداد السابق، وبدون هذا الإعداد، سيكون هناك بالتأكيد فشل»

«لا تفرض علىٰ الآخرين ما لا تريده بنفسك»

«طبائع الرجال متشابهة، هي عاداتهم التي تنقلهم بعيدًا عن بعضهم»

«إن مجدنا الأعظم ليس في السقوط أبداً، بل في الارتفاع في كل مرة نسقط فيها»

«المعرفة الحقيقية هي معرفة مدىٰ جهل المرء»

«امسك الأمانة والإخلاص كمبادئ أولىٰ»

«أسمع وانسىٰ. أراه وأتذكر. أفعل وأنا أفهم»

«احترم نفسك وسيحترمك الآخرين»

«الصمت صديق حقيقي لا يخون أبداً»

«الرجل المتفوق، عندما يستريح في أمان، لا ينسىٰ أن الخطر قد يأتي. عندما يكون في حالة أمن لا ينسىٰ إمكانية الخراب. عندما يكون الجميع منظمًا، لا ينسىٰ أن الفوضىٰ قد تأتي. لا يتعرض للخطر، ويتم الحفاظ علىٰ دولته وجميع عشائرها»

«إرادة الفوز، الرغبة في النجاح، الرغبة في الوصول إلىٰ إمكاناتك الكاملة، هذه هي المفاتيح التي ستفتح الباب للتميز الشخصي»

«أفضل من الماس مع عيب من الحصاة دون»

«ادرس الماضي، أن كنت ستحدد المستقبل»

«أينما تذهب، اذهب مع كل قلبك»

«الحكمة والتعاطف والشجاعة هي الصفات الأخلاقية الثلاثة المعترف بها عالميًا للرجال»

«ننسىٰ الإصابات، لا تنسوا أبدا الشفقة»

«ليس لديك أصدقاء لا يساوي نفسك»

«من يمارس الحكم عن طريق فضله يمكن مقارنته بالنجم القطبي الشمالي الذي يحافظ علىٰ مكانه وكل النجوم تتجه نحوه»

«من يتعلم ولكن لا يفكر هو ضائع! من يفكر لكنه لا يتعلم هو في خطر كبير»

«من يتكلم بلا حياء سيجد صعوبة في جعل كلماته جيدة»

«الحياة بسيطة حقا، لكننا نصر علىٰ جعلها معقدة»

«الرجل المتفوق متواضع في خطابه لكنه يتجاوز في أفعاله»

«لا تخجل من الأخطاء، وبالتالي جعلها جرائم»

«كلما تأمل الرجل أكثر في الأفكار الجيدة، سيكون عالمه والعالم بأسره أفضل»

«الرجل المتفوق يفهم ما هو صحيح؛ الرجل السفلي يفهم ما الذي سيبيع»

«بحكم طبيعتها، الرجال متشابهون تقريبًا ؛ من الناحية العملية، يجب أن يكونوا بعيدين عن بعضهم البعض»

«من لن يفرض اقتصاداته سيضطر إلىٰ التألم»

«عندما نرىٰ رجالا يتسمون بطابع مخالف، يجب أن ننتقل إلىٰ الداخل ونفحص أنفسنا»

«وهو الذي لا يمكن أن يطلق عليه الافتراء الذي لا يتدفق بشكل تدريجي إلىٰ العقل، ولا التصريحات التي تثير الجرح مثل الجرح في الجسد، ذكيًا في الواقع»

«إذا كنت أسير مع رجلين آخرين، فإن كل واحد منهم سيخدم كمدرس. سأقوم باختيار النقاط الجيدة للبرنامج والتقليد، والنقاط السيئة للآخرين وتصحيحها في نفسي»

«اختر وظيفة تحبها، ولن تضطر إلىٰ العمل يومًا في حياتك»

«إذا نظرت إلىٰ قلبك، ولم تجد شيئًا خاطئًا، فما الذي يدعو للقلق؟ ما هو الخوف»

«الجهل هو ليلة الذهن، ولكن ليلة بدون قمر ونجم»

«من السهل أن تكره ويصعب حبها. هذه هي الطريقة التي تعمل بها كل الأشياء. كل الأشياء الجيدة يصعب تحقيقها، والأشياء السيئة سهلة للغاية»

«بدون مشاعر الاحترام، ما الذي يميز الرجال عن الوحوش؟»

****

القديس والفيلسوف أوغسطين

هو قديس من أعظم قديسي الكنيسة عبر تاريخها، وتذخر قصته بالعلم والفلسفة وحياة الشر التي عاشها في شبابه المبكر ثم توبته وحياته في حياة الفضيلة وما كتبه بعد ذلك في مؤلفه الشهير (اعترافات أوغسطين) يؤكد صدق توبته وإيمانه، وقصته هي رمز لحياة الفضيلة القائمة علىٰ المعرفة في التاريخ المسيحي، لأن المسيحية تمثل أيضًا جزء من الحضارة الإنسانية ككل، فكان لابد من ذكر قصته.

مكان ميلاده تاجست بإفريقيا الشمالية «تومبديا» تاريخ ميلاده في ١٣ نوفمبر سنة ٣٥٤ والده اسمه باتريكس وثنيًا» فظ الأخلاق وشرير، ولذلك لم يهتم بأولاده من الناحية الأخلاقية والتربوية وكان كل ما يهمه أن يراه رجلًا عظيمًا، ووالدته اسمها مونيكا مسيحية احتملت زوجها الشرير ولم تشتكِ لأحد، وكانت حماتها أيضًا شريرة. وكان لأوغسطينوس أخ اسمه «تفجوس» كان آبا مسيحيًا لأسره تقية خرج منها راهبتان وكان السبب في ذلك يرجع إلىٰ عمتهما أخت القديس أوغسطينوس لم يذكر اسمها والتحقت بدير للراهبات وتقدمت في حياتها الروحية حتىٰ أصبحت رئيسة للدير.

أرضعته أمه مونيكا لبن الأيمان منذ طفولته فكانت هذه التعاليم راسخة في ذهنه حتىٰ كبر حتىٰ وهو في أسوا حالاته الأخلاقية.

كـان محبـًا للعـب والكسـل رغـم أنـه كـان ذكيًا والسـبب في ذلـك أن المدرسـين لـم يهتمـوا بحياتـه وسـلوكياته واخلاقياتـه وكـان يكـره اللغـة اليونانيـة ويحـب اللغـة اللاتينيـة ثـم تـدهورت حياتـه حتـىٰ وصـل إلـىٰ درجـة الخطـأ في حـق زملائـه واخوتـه وحتىٰ أمه أيضًا.

مرض أوغسطينوس ولم يكن قد تعمد فأرادت والداته أن تعمده لأنه لم يكـن قـد تعمـد لتشـجيع والـدة لـه علىٰ الشـر وإهمالـه الناحية ولكنه شفىٰ ولم يعتمد.

عندما بلغ سنه السادسة عشر سافر إلىٰ قلاطاجنة ليتعلم البيان وفرح لأنـه مسـافر مـع أصحاب الأشـرار وهنـاك صـنعوا شـرور كثيـرة فـالتقىٰ بالشـريرات وعشـق المسـارح وصـنع الشـرور حتـىٰ بأمـاكن العبادة.

حزنت أمه عليه وعلىٰ الحالة السيئة التي وصـل إليهـا مـن الشـر فكانت تنصحه ولكنه كان لا يعتنىٰ بكلامها يقول في اعترافاته لمن أمي كانت تلح علي بشدة التحريض لاعتزال الغواني وكل أسباب الفجـور وأما أنا فما كنت أعيرهـا أذنـا صـاغيه ولا أكـترث بأقوالهـا لأنهـا أقـوال امرأة.

عكف علىٰ دراسة الفقه والقوانين لأنه كان يريد أن يكون قاضيًا أو محاميًا

أعجب أوغسطينوس بمذهب شيشرون لأنه قرأ كتاب هور كانسيوس لشيشرون الذئ ضاع فيما بعد فكاتبه يفرط فيه للفلسفة ببلاغة فيصورها مدرسة وفضيلة

تأثر بهذا المذهب مما جعله يشتاق إلىٰ حياة العفة، درس الكتاب المقدس، أراد قراءة الكتاب المقدس وقراءته للكتاب المقدس كانت كأي فيلسوف وكأنه كتاب فلسفي ولم يتأثر به رغم التعاليم السامية التي فيه ولم تعجبه اللغة اللاتينية.

عندما رأت مونيكا انحراف ابنها الخلقي وانحرافه إلىٰ بدعة ماني طردته من المنزل وذلك لأنه جذب أناس من الإيمان ولكن لمحبتها له وعطفها عليه أرجعته مرة أخرىٰ.

كانت أمه تصلي بدموع حارة لأجل خلاص ابنها وحياته الأبدية فرأت وهي نائمة حلمًا أنها واقفة وأمامها فتىٰ فرحًا قائلًا لها لماذا تبكين.

فقالت له علىٰ هلاك ولدي فقال لها لا تخافي واذ بها تراه معها علىٰ الخشبة.

كانت مونيكا تصلىٰ بقوة وبدموع وتسأل رجال الدين من أجله فأجابها الأسقف ابروسيوس قائلًا «ثقي يا أمراه أنه من المستحيل أن يهلك ابن هذه الدموع» وكان يشجع مونيكا دائمًا أنه سيعود إلىٰ الإيمان.

انتقل أعز صديق لأوغسطينوس الذى كان ملازمًا له دائمًا فقد مرض وطال لمدة سنة وخاف عليه أهله فعمده فشفي وجاء لأوغسطينوس فهزأ أوغسطينوس بعماده وغضب صديقه لذلك ولكن سمحت العناية الإلهية بأن ينتقل صديقه مما أحزن أوغسطينوس جدًا فكره كل شيء وكان يرى الحياه سوداء في عينية فالتجاء إلى اتباع ماني فازدادت مشاكله واضطراباته وسئمت نفسه كل شيء.

وظل مدة تسعة سنين مخدوع بالبدعة المانوية لأنه كان يظن انهم ينادون بالعفة التي كان يشتاق إليها ولكنه بالبحث عرف بطلان معتقداتهم والقى برئيس البدعة وهو يفوستوس، وعندما سأله وجده فارغًا وبذلك اكتشف خداع المانوية ولكنه مع ذلك يرجع عن شروره وشهواته.

سافر إلى روما بإيعاز من أصدقائه وحاولت والدته منعه ولم تفلح. وكانت تريد أن تسافر معه ولكنه كذب عليها وقال أنه سيودع أحد أصحابه فذهبت معه عند السفينة وعندما ذهبت لتصلى في الكنيسة قفز في السفينة وسافر تاركًا أمه تبكى من أجله وفى روما مرض مرضًا شديدًا أوشك فيه على الموت لولا عناية الله له فشفى.

عمل مدرسًا للبيان في روما ودبرت له العناية الإلهية بأن يتقابل بأسقف المدينة القديس ابروسيوس الذى عطف عليه واعجب أوغسطينوس به وبعظاته وتفسيره للعهد القديم ورده على بدعة مانى.

وجد أوغسطينوس أربعة علامات في الكنيسة تدل علىٰ أنها من الله وهىٰ:-

١- تحقيق نبوات العهد القديم

٢- فيها يتصل الكمال الروحي

٣- صنع المعجزات

٤- انتشرت رغم العذابات

- ذهب أوغسطينوس إلىٰ ميلان فعرفت امه وذهبت إليه لتهديه وعندما قابلها اخبرها بأنه ترك المانوية ولكنه لم يقتنع اقتناع كلىٰ بالمسيحية فقالت له (لي رجاء بالمسيح قبل مفارقتي الأرض أراك مؤمنًا)
- قرأ أوغسطينوس كتب أفلاطون ولكنها لم تقوده إلىٰ المسيحية.
- عاد أوغسطينوس مره أخرىٰ إلىٰ الكتاب المقدس واعجب برسائل بولس الرسول
- سمع أوغسطينوس بإيمان فيكتريانوس دبرت العناية الإلهية أن يزور أوغسطينوس صديقه سيمليانس الذىٰ اخبره بأن فيكتريانوس اعتنق المسيحية فلما سمع ذلك في أن يكون مثله.

وبعد دموع طالت ٢٠ عامًا من أمه مونيكا يرجع أوغسطينوس إلىٰ إيمانه الصحيح فاحتقر المانوية وبعد موت اعز صديق له احتقر العالم وشهوته وتاب عن شروره وحيات الرذيلة واحب سيرة الأنبا انطونيوس وبكىٰ بكاء مرًا وارتمىٰ علىٰ جزع شجرة وكان معه صديقه اليبوسي فتركه وانفرد بنفسه واخذ يبكىٰ فسمع صوت يقول له خذ اقرأ، خذ واقرأ ففتح رسائل بولس الرسول فوجد الآية التي تقول «لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر ولا بالخصام والحسد بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات»

«رومية ١٣: ١٣ – ١٤»

تحويل القوة الشريرة إلىٰ قوة حب

و تحولت القوة الشريرة التي كانت فيه إلىٰ قوة تلتهب حبًا وذلك سنة ٣٨٦ م. وهو يبلغ من العمر اثنان وثلاثون سنة وعاد إليه صديقه أليبوس يخبره بأنه رجع إلىٰ ايمانه المستقيم وذهبا ليخبرا الأم التي لم تكف عن البكاء مدة ٢٠سنة.

– تكريس حياته وعزم علىٰ تكريس حياته للرب وأقام مدة ستة اشهر بميلان ليعتمد ومعه ابنه ادياتس الذىٰ انجبه من الشر وذلك سنة ٣٨٧ م. في بداية الصوم الكبير علىٰ يد القديس «امبروسيوس»

وهناك في ميلان مرضت أمه مونيكا بحمىٰ شديدة بعد خمسة أيام وذلك قبل أن يرجعوا إلىٰ بلادهم فحزن أوغسطينوس جدًا عليها وكانت قد بلغت السادسة والخمسين من عمرها وكان أوغسطينوس في الثالثة والثلاثون من عمره.

عاد أوغسطينوس إلىٰ روما ثم إلىٰ قرطاجنة ومن هناك وذهب إلىٰ تاجست وطنه الأصلي وعمل ما احبه الأنبا انطونيوس بأن وزع كل أمواله وممتلكاته.

اعتكف في خلوة مع أصدقائه لمدة ثلاث سنوات للصلاة والصوم والتأمل.

رسمه فاليروس أسقف هيبو (حاليًا ايبوتا من أعمال نوميديا) بإجماع من الشعب رغم رفضه الشديد ألا أن الشعب ألح عليه.

سكن أوغسطينوس في بستان الكنيسة فجعله ديرًا مليئًا بالرهبان الأتقياء ووضع لهم قوانين يسلكون عليها كما أنه إنشاء ديرًا للراهبات تحت رئاسة أخته.

سمح له الأسقف بالوعظ فكانت الناس تعجب جدًا لوعظه وكثرة عمله.

أعطاه الله نعمة إخراج الشياطين من الناس.

رسم أسقف علىٰ هيبو بعد مرض فاليروس سنة ٣٩٥ م. وذلك لمساعدته وذلك بمشورة اوريليوس أسقف قرطاجنه وبقية الأساقفة ففرح الشعب جدًا بهذا الاختيار.

من أعمال أوغسطينوس

- محبًا للفقراء والمساكين.
- متضعًا في حياته.
- كتب كتبًا كثيرة للرد علىٰ الهراطقة
- حضر مجمع بأمر من الملك اورنوريوس بسبب بدعة الدوناثيون وذلك سنة ٤٢١ م.

****

ابن رشد (شارح أرسطو)

كـان يجـب أن يتضـمن كتـابي هـذا قصـة أحـد العلمـاء الكبـار البارزين، وما وجدت أفضـل مـن ابـن رشـد لكونـه عالمـًا في أكثـر مـن مجال، وبحث في كافة العلـوم وكتـب في الفلسـفة بكـل أبوابهـا، ثـم أنـه شخصية مؤثرة حتىٰ أنـه أثـر علىٰ النهضـة الأوروبيـة، وكـذا أن حياتـه كلها تمثل حياة شخص أخلاقي عالم وحامل لشعلة التنـوير والثقافـة، وهو من أحد رموز التاريخ الإسلامي ككل.

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمـد بـن أحمـد بـن رشـد، ولـد في قرطبـة بالأنـدلس (إسـبانيا الآن) سـنة ٥٢٠ هجـري الموافـق ١١٢٦ مـيلادي، كـان أبـوه أحمـد قاضـيـًا وكـان جـدُّهُ قاضـي القضاة فنشأ ابن رشد في أسرة تشغل المناصب السياسية.

عندما بلغ الحادية عشر كان قد أتمَّ حِفظ القُرآن الكـريم، ومـا أن وصـل سـن الخامسـة عشـر حتـىٰ كـان قـد أتـمَّ دراسـة علـوم الفقـه واللاهوت والحديث والتفسير والأصول من أبيه، ودرس أيضـًا اللغـة والكلام والأدب من عُلَماء قُرطُبَة آنذاك.

و لـم يكتَفِ ابن رشد بذلك، بل درس أيضـًا الطـب والرياضـيات والفلسفة والمنطق والفيزياء علىٰ يدي أبي جعفر بـن هـارون الترجـاني الطبيب المشـهور، وعلـىٰ يـدي أبـي مـروان بـن جربـول البلنسـي أحـد الأطباء، وأيضـًا علىٰ يدي ابن طفيل الفيلسوف.

و ما أن بلغ العشرين من العمر حتىٰ تقدم لنيل الإجازات العلمية مـن أسـاتذته في علـوم الـدين والكـلام والفلسـفة والمنطـق والطـب والرياضيات فنالها جميعـًا في حشد هائل من العلماء والطلاب وذوي المناصب العالية.

بعدما نال ابـن رشـد معرفـة واسـعة في جميـع العلـوم بـدأ بدراسـة وقراءة كتب العلماء، فقرأ كتاب القانون في الطب لابن سينا والحـاوي في الطـب للـرازي وقـرأ كتـب الفـارابي الفلسـفية وأرسـطو حتـىٰ نـال المعرفـة الواسـعة في الطـب والفلسـفة، فبـدأ التلاميـذ بالإقبـال عليـه ينهلون من معرفته الواسعة في الطب والفلسفة، وبدأ ابن رشـد بالحـذو كحذو الرازي فبدأ يُعالِج الفقراء بدون أجر.

بعد مدة من الزمن تولىٰ منصب السلطان أبو يعقوب بـن يوسـف زعيمـًا للموحدين، واختار له وزيراً فيلسوفـًا وطبيبـًا خاصـًا وهـو ابـن طفيل، أستاذ ابن رشد، وزار ابن طفيل ابن رشد في بيته وأغـراه بالسـفر معـه إلـىٰ مـراكش ليُقدِّمُهُ إلـىٰ السـلطان أبـي يعقـوب فوافـق ابـن رشـد وخرج مع صديقه إلىٰ مراكش.

يقول ابن رشد:

«دخلت علىٰ أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبـد المـؤمن زعيم دولة الموحدين فوجدته هو وابن طفيل ليس معهما أحـد، فأخـذ ابن طفيـل يُثنـي علـىٰ ويـذكر بيتـي وسـلفي ويضُـم إلـىٰ ذلـك أشـياء لا

يبلغها قدري، فكان أول ما فاتحني به بعد أن سأل عن اسمي ونسبي أن قال لي: ما رأيك في الموجودات، أقديمة هي أم حادثة، فأدركني الحياء والخوف وأخذت أتعلل وأُنكِر اشتغالي بعلم الفلسفة – ولم أكن أدري ما قرر معه ابن طفيل – ففهم أمير المؤمنين خوفي وحيائي فالتفت إلىٰ ابن طفيل وجعله يتكلم عن المسألة التي سألني فيها ويذكر ما قاله أرسطو وأفلاطون وجميع الفلاسفة، ويورِد مع ذلك احتجاج أهل الإسلام عليهم، فرأيت منه غزارة حِفظ لم أجدها في أحد المُشتَغِلين بهذا الشأن المُتفرِّغِين له، ولم يزل يُباسطني حتىٰ تكلمت، فعَرِفَ ما عندي من ذلك فلما انصرفت أكرمني، وبعد هذه المقابلة استدعاني ابن طفيل فقال لي: سمعت أمير المؤمنين يشتكي من قلق عبارة أرسطو وعبارات المترجمين عنه ويذكر غموض أغراضه ويقول: لو وجد لهذه الكتب من يُلخِّصُها ويُقرِّب أغراضها بعد أن يفهمها فِهمًا جيداً لقــرّب مأخذها علىٰ الناس، فإن كان فيك فضل قوة لذلك فافعل وإني لأرجو أن تفي به لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وشدة نزوعك إلىٰ هذه الصناعة، وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبر سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي إلىٰ ما هو أهم عندي منه»

يقول ابن رشد:

«فكان هذا الذي حملني علىٰ تلخيص ما لخَّصته من كُتُب الحكيم أرسطو طاليس وشرح ما شرحت»

و كان ابن رشد قد بلغ من العمر تسعة وعشرون عامـاً. وبعـدما أنهىٰ ابن رشد ما طلبه منه ابـن طفيـل أراد أن يعـود إلـىٰ قرطبـة، فودَّعَـهُ السلطان أبو يعقوب ووزيـره ابـن طفيـل وزوَّد السـلطان ابـن رشـد بـأن أعطاهُ مالاً وألبسه لِباس السلاطين وأعطاه جواداً أصيلاً وأجـرىٰ عليـه راتبـاً سنويـاً لا ينقطع.

خلال الثلاثة عشر سنة التي تلت وصول ابن رشد إلىٰ قرطبة كان ابن رشد قد أنجز عروضه لكُتُبِ فلاسـفة اليونـان والإسـلام وتعليقاتـه عليها، بل ولكتب أطبائهم وعلماء الفلك والحيوان في جوامِع عُرِفَـت باسم جوامع أرسطو وأفلاطون وجالينوس وأهداها إلىٰ السـلطان أبـي يعقوب.

وفي عـام ٥٦٣ هجـري الموافـق ١١٦٩ مـيلادي تـوفي والـد ابـن رشد فحزن ابن رشد كثيراً وانقطـع عـن التـأليف وأراد أن يحقـق أُمنيـة أبيه بأن يُصبِحَ قاضيـاً كأبيه وجدِّه، فبعث إلىٰ ابن طفيـل يطلُـب منـهُ أن يُعيِّنَهُ قاضيـاً، فأوعز ابن طفيـل للسـلطان أبـي يعقـوب فعيَّنَ ابـن رشـد قاضيـاً لأشبيلية، فغادر ابن رشد إلىٰ أشبيلية ليستلم مهامُهُ القضائية.

كان ابن رشد قد بلغ من العمر ٤٤ عامـاً حين وصل إلـىٰ اشـبيلية وبـدأ مهامُـهُ القضـائية، حاذيـاً حـذو أبيـه وجـدِّه ولكنـه لـم ينقطـع عـن التأليف حتىٰ أتم مشـروعه الفلسـفي الهائـل الـذي كلَّفَـهُ بـه ابـن طفيـل

والسلطان أبي يعقوب وختم إنجازه هذا بكتاب في الفقه أسماه (المُقدِّمات).

وبعد عشر سنين من تولي ابن رشد القضاء، أصدر السلطان أمراً بتعيين ابن رشد قاضياً للجماعة (قاضي القضاة) فعاد إلىٰ قرطبة وتوجَّه إلىٰ دار الحكم (القضاء) مُباشِراً بعمله كقاضي القضاة. وبعد مدة قصيرة أُضيفَ منصب جديد لابن رشد، فقد أصبح الطبيب الأول الخاص بالسلطان أبي يعقوب، وأمَرَهُ السلطان بأن يبقىٰ في قُرطُبة لا يغادرها إلىٰ مراكش إلا بدعوة من السلطان لعلاجه أو علاج أحد من أهل قصره.

و بعد عامان أصاب ابن طفيل مرض عُضال فبعث إلىٰ ابن رشد، وعندما أتىٰ ابن رشد رحَّبَ به السلطان وادخلهُ إلىٰ ابن طفيل الراقد علىٰ سريره ليحاول مُداواتِهِ ولكن لا أمل، فمرضُهُ عضال، وفي الصباح لفظ ابن طفيل أنفاسه الأخيرة فحزن ابن رشد والسُلطان حُزناً شديداً وازداد الحزن علىٰ ابن رشد عندما مَرِضَ السُلطان بِمرض عضال وبقي ابن رشد يحاول مداواته ولا يفلح في علاجه حتىٰ توفي بعد شهور من موت ابن طفيل، فعاد ابن رشد إلىٰ قرطبة.

وبعد أعوام قليلة وضع ابن رشد كتابه الضخم في الطب (الكليات في الطب) ولكنه لم يكُن راضياً عن نفسه، دخل ابن رشد مكتبته وخلال السنوات العشر التالية من عمره وضع ابن رشد ٤ كتب

دُفعةً واحدة، أوَّلُها هو (تهافُت التهافُت) وهو كتاب فلسفي وأيضًا كتاب (الكشف عن مناهج الأدِلَّة في عقائد المِلة) وهو في تفسير نصوص قرآنية، وآخر هو (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) وهو في علم الكلام، والأخير (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) وهو في الفقه الإسلامي، ونَسَخَهُ النسَّاخون ونشروه في أرجاء الأندلس، وأحدثت هذه الكتب غيظًا مكتوما لدىٰ الحاقدين علىٰ ابن رشد، وباتوا ينتظرون الفرصة المُناسِبة للإيقاع به عند السلطان الجديد (أبو يوسف يعقوب بن يوسف).

بدأ التلامذة يأتون إلىٰ ابن رشد من كل أرجاء الأندلس والمغرب العربي، فقد انتشر صيته عاليًا بين العلماء كافة بعد نشر كُتُبِهِ الأخيرة، ومن بين هؤلاء التلامذة التلميذ (أبو محمد عبد الكبير) الذي أصبح قاضيًا بُمساعدة ابن رشد والذي ترأس قيادة خصوم ابن رشد.

وبعد عامين أتىٰ السلطان أبو يوسف إلىٰ قُرطُبة ليعُد العدة ويجهز الجيوش لمعركة فاصلة مع ألفونسو التاسع في موقعة الأرك، فانتهز الفُقَهَاء فرصة حاجة السلطان إليهم للدعوة علىٰ الجهاد فجعلوا بينهم وبين أنفسهم ثمنًا لذلك رأس ابن رشد، ودبر لهم الخطة في تمثيلية مُحكمة أمام السلطان (أبو محمد عبد الكبير) رئيس خصوم ابن رشد فقدموا للسلطان وابن رشد في المجلس حاضر ورقة من

كتابه الحيوان، زعموا أنها بخطه مكتوب فيها عن السلطان أنه ملك البربر وقد شَهِدَ عليها مائة شاهد وأكد ابن رشد بأنها ليست بِخَطِّه، وقدَّم ابن رشد ورقة أخرىٰ بخطه مذكور فيها ملك البرَّين.

و قالوا عنه أنه قال في كتابه الكليات:

«من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيمانا بالله» فلم ينكر ابن رشد ما كتبه ودافع عنه فمعرفة تكوين الكائنات يزيد الإيمان ويُثَبِّتُهُ.

وقالوا عنه أنه كتب في أحد كتبه أن الزهرة إحدىٰ الآلهة فقال ابن رشد: «هكذا كان يعتقد الأولون» وأنه لا يعتقد ذلك وإنما حكىٰ مُعتقدات السابقين.

ورأىٰ السلطان التمثيلية مُضحِكة الاتهامات وأدرك بأنه بحاجة للجميع في مواجهته الفرنجة وأنها ليست محنة ابن رشد لوحده فأصدر حُكماً بنفي ابن رشد إلىٰ اليشانه وهي مدينة صغيرة أكثر سكانها من اليهود.

ساند الفقهاء والقضاة الطامعون بمنصب ابن رشد السلطان بمعركة الأرك نتيجة حُكمِه وانتصر السلطان أبا يوسف علىٰ جيوش ألفونسو.

حرك خصوم ابن رشد الوعاظ في المساجد ضده والشعراء والوشاحين والزجالين، فهُجيَّ في أرجاء قرطبة واتهم بأنه يهودي

الأصل ومخرف العقل وجمعوا ما استطاعوا جمعهُ من كتبه وحرقوها في ميادين قرطبة واشبيلية.

ومضت ثلاثة سنين علىٰ ابن رشد في اليشانه حينما أتاه السلطان أبو يوسف إلىٰ اليشانه وصحب معه ابن رشد إلىٰ مراكش واعتذر له وأعاد إليه منصبيه ولم يمض علىٰ ابن رشد ثلاثة أشهر في مراكش حتىٰ وافته المنية عن عمر يناهز اثنتين وسبعين عاماً بسبب أوجاع في المفاصل سببها حمىٰ أصابته في صباه ولم يتعاف منها تماماً، وكانت وفاته عام ٥٩٥ هجري الموافق ١١٩٨ ميلادي ومضىٰ في جنازته السلطان ومجموعة صغيرة من أصدقائه ونُقِلَ إلىٰ قرطبة بعد وفاته ليُدفَن مع أبيه وجده.

لُقِّبَ أبو الوليد محمد بن أحمد بألقاب كثيرة منها، آخر الفلاسفة، وشارح أرسطو، والمُعقِّب، ومُعلِّم الغرب، ولُقِّبَ بابن رشد، وغيرها من الألقاب.

لابن رشد الكثير من المؤلفات، فلقد أحصىٰ جمال الدين العلوي عدد الكتب والرسائل التي ألفها ١٠٨ مؤلف، وصلنا منها ثمانية وخمسين كِتاباً بِنصِّهِ العربي ونستذكر منها ما يلي:

١ كتاب الكليات ألفه عام ١١٦٢

٢ شرح الأرجوزة المنسوبة لابن سينا في الطب وألفها عام ١١٨٠

٣ تلخيص كتاب المزاج لجالينوس
٤ تلخيص كتاب العلل والأمراض لجالينوس
٥ تلخيص كتاب الأدوية المفردة لجالينوس
٦ مقالة في حميات العفن
٧ مسألة في نوائب الحمىٰ
٨ مقالة في الترياق
٩ كتاب تهافت التهافت وألفها عام ١١٨١ ميلادي
١٠ البحث فيما ورد في كتاب الشفاء عما وراء الطبيعة
١١ مقدمة الفلسفة (١٢ رسالة)
١٢ شرح كلام ابن باجة في اتصال العقل المنفصل بالإنسان
١٣ نقد الفارابي في التحليلات الثاني لأرسطو
١٤ القسم الرابع من وراء الطبيعة أنهاه عام ١١٩٤
١٥ رسالة في تركيب الأجرام
١٦ كتابان في الاتصال
١٧ كتاب الكون
١٨ الضروري في المنطق
١٩ كتاب مختصر المنطق
٢٠ فصل المقال
٢١ بداية المجتهد ونهاية المقتصد ألفه عام ١١٦٨
٢٢ الحيوان
٢٣ الشرح الصغير للجزيئات والحيوان

٢٤ الشرح الكبير للطبيعة
٢٥ الشرح الوسط للأخلاق
٢٦ شرح جالينوس
٢٧ الطبيعة والسماء
٢٨ الكسب الحرام
٢٩ كتاب الخراج
٣٠ الدعاوي (٣ مجلدات)
٣١ تلخيص كتاب الاستقصات لجالينوس
٣٢ مقالة في حركة الفلك
٣٣ مقالة في العقل
٣٤ الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملّة وألفه عام ١١٧٩
٣٥ تلخيص القياس ألفه عام ١١٦٦
٣٦ تلخيص الجدل وقد ألفه عام ١١٦٨
٣٧ جوامع الحس والمحسوس وألفه عام ١١٧٠
٣٨ كتاب تلخيص الجمهورية وألفه عام ١١٧٧
٣٩ مقالة في العلم الإلهي وألفها عام ١١٧٨
٤٠ شرح البرهان وألفها عام ١١٨٣ ميلادي
٤١ شرح السماء والعالم ألفه عام ١١٨٨
٤٢ شرح كتاب النفس ألفها عام ١١٩٠
٤٣ تلخيص كتاب التعرق لجالينوس.
و غيرها الكثير.

جان دارك. قديسة فرنسا

إن جان دارك تمثل بحياتها مثالاً أخلاقيا ووطنيا، عطفت على الفقراء وآمنت أن لها رسالة يريد الله منها أن تقوم بها، وجاهدت وناضلت من أجل وطنها، وحتى قبلت المعاناة حتى الموت حرقاً من أجل مبدأ أو مبادئ آمنت بها، فأن أعظم الأخلاق هي تقديم الحياة من أجل فكرة، وكلما كانت الفكرة سامية كانت مثالاً، لأن الإنسان خلق على شبه الصفات الإلهية.

ولدت جان دارك عام ١٤١٢ في قرية (دومرمي)، التي كانت جزءً من (بريغاندي) الولاية المستقلة عن السلطة الفرنسية في ذلك الوقت، لأب مزارع (جون دارك) ووالدتها (إيزابيل) التي لقنتها التعاليم الدينية. تأخذ حياة (جان دارك) شكل الأسطورة عند بعض الفرنسيين؛ فعندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها، كانت تسمع أصواتا تناديها، وتدعوها إلى تحرير بلدها من الاحتلال الإنجليزي (هذا ما أشارت إليه في مذكراتها) فلبت النداء الداخلي، وعملت على تجميع قوات عسكرية، قادتها بنفسها لدحر القوات الإنجليزية بعد أن تنكرت بزي الرجال. استطاعت بهذه الطريقة أن تحصل على نوع من السلطة التي كان يصعب لامرأة الوصول اليها في تلك الفترة. ترجع شهرة جان دارك إلى نجاحها في رفع حصار قوات الاحتلال الإنجليزية عن مدينة أورليانز الفرنسية عام ١٤٢٩؛ حيث استطاعت لقاء الملك الفرنسي

شارل السابع بمدينة شينون وأقنعته بالمهمة العسكرية التي نذرت نفسها لها وهي تخليص أورليانز من براثن الإنجليز. تقول جان دارك في اعترافاتها: بين أفراد أسرتي كان اسمي جانيت، ومنذ مجيئي إلىٰ فرنسا سموني جان. تعلمت في الصغر الخياطة والغزل، ولا أخشىٰ منافسة أي امرأة في ريون في هذا المجال، أما دراستي... فقد تعلمت عقيدتي والتصرفات الصحيحة للطفلة المهذبة بطريقة حازمة وفي الوقت المناسب. مرة كل عام اعترفت بخطاياي إلىٰ الكاهن، ولقد شربت الماء المقدس وتناولت الخبز السماوي في عيد الفصح. حلم وجد طريقه للحقيقة.

تتابع دارك في مذكراتها: أبلغتني أمي أن أبىٰ قد حلم أكثر من مرة بأنني سأهرب بعيدا مع مجموعة من الجنود. قالت لي أنه تحدث إلىٰ اخوتي منذرا: لو آمنت بأن هذه الأحلام ستتحقق لطلبت منكم إغراقها، وإذا رفضتم فسأغرقها بنفسي.

بسبب هذه الأحلام، قام والديّ بمراقبتي دائما، وحدا من حريتي. مع ذلك أطعتهما في كل شيء. ولكن، حين طلب الخالق مني الذهاب، أطعت.

وهكذا فضل الخالق أن يحقق مشيئته عبر عذراء ريفية بسيطة سترد أعداء الملك علىٰ أعقابهم. نشأت جان دارك في كوخ صغير علىٰ مقربة من الكنيسة، وكانت البلدة التي يعيشون بها بلدة صغيره علىٰ

مقربة من حدود مقاطعتي شمبانيا واللورين وهي واحدة من آلاف البلدان والقرىٰ التي يكتظ بها الريف الفرنسي، وقد نضجت شخصية وعقلية جان دارك بسرعة غير عادية؛ فعندما بلغت الخامسة كانت تصلي وتدعو الله وهي تجثو علىٰ ركبتيها، وعندما سالتها أمها يوما: لماذا تجثين علىٰ ركبتيك وأنتِ تصلين؟ فأجابت الطفلة أن أقل شيء نفعله لله الذي خلق لنا كل شيء أن نجثو علىٰ ركبتينا ونحن نصلي له. وهناك واقعه حدثت عندما كانت الطفلة جان دارك في السادسة من عمرها حين تعسرت ولادة جارة لها، وكانت هذه الجارة طيبة القلب ودائما ما تلاطف جان دارك، وعندما اشتدت خطورة حالتها يئست القابلة وأخذت تبكي، وأيقن أهل المرأه بأنها هالكه، فدخلت جان دارك وسمعت أصوات البكاء والعويل، فقالت الطفلة لهم أن بكاءكم هكذا لا يرضي الله أرجوكم كفو عن البكاء قليلا حتىٰ أدعو الله وأتوسل إليه أن ينقذها، فجثت جان دارك جوار الفراش وأخذت تدعو الله، وبعد وقت قصير ولدت السيدة ونجت هي وطفلها فتناقلت القرية كلها الخبر وشاع بينهم أن الطفلة جان دارك مباركة، فصاروا يهرعون إليها كلما ألمت بأحدهم مصيبه. ويروىٰ أن جان دارك عندما بلغت العاشرة من عمرها كانت تسمع أصوات تحدثها وتقول لها: جان دارك داومي علىٰ الابتهال. جان أنت الخلاص لوطنك استمري في عطفك علىٰ الفقراء. فرنسا تناديني، أخيرا قررت جان أن تخطو أول خطوه نحو تحرير فرنسا، فاضطرت جان أن تكذب لأول مره في

حياتها، فقالت لوالديها بانها تشعر بالملل والضيق وتريد قضاء بضعة أيام عند خالتها، فأذن والداها لها بذلك، فأخبرت جان زوج خالتها عن الأصوات التي تسمعها وعن نيتها لتحرير فرنسا، وكان زوج خالتها رجل طيب القلب فصدقها ووافق علىٰ أن يصحبها لمقابلة حاكم منطقة فوكولور وعندما قابلت الحاكم قال بأنها فتاة مجنونه، فعادت جان خائبة إلىٰ بيت والديها. بعد مدة من الزمن عادت جان لزيارة خالتها وصادف في هذه المرة وجود فارسين في البلدة عرفا بالشهامة والشجاعة والتدين كان أحدهما يدعىٰ برتراند دي بولانجيه والآخر يدعىٰ جان دي ميتس وعندما سمعا عن جان ذهبا وبعد حديثهما معها وعدا بمساعدتها وذهبا لمقابلة حاكم فوكولور وكان الحاكم يحترمهما كثيرا فوافق علىٰ التوسط لتحديد موعد تلتقي فيه جان بالملك شارل السابع وفرح أهل القرية لأجلها فلطالما صدقوها واعتبروها فتاة صالحه فتبرعوا بمالهم لها فاشترت حصان ودرع وسيف ورمحا وخنجرا وارتدت زي رجل وقصت شعرها. وتطوع شابان من البلدة لخدمتها ومرافقتها وكان أحدهما يدعىٰ جوليان والآخر يدعىٰ هونيكور، سافرت جان ورفاقها إلىٰ مدينة شتون واستغرقت رحلتها أحد عشر يوما واجهت خلالها الكثير من المشاق، ووصلت إلىٰ شتون حيث مقر الملك في السادس من شهر مارس ١٤٢٩م واستدعىٰ الملك أولا الفارسين الذين كانا معها، فلما سمع أقوالهما أذن لجان بأن تقابله في قصره، وبعد أن قابل الملك جان لم

يصدقها علىٰ الفور بل جعل مجموعة من الكهنة يحققون معها للتحقق من مزاعمها وبأنها تسمع أصواتًا، فأقنعتهم بإجاباتها، فأشار رجال من حاشية الملك عليه بأن يرسلها إلىٰ مدينة بواتيه ليحقق معها النائب العام، وذهبت جان إلىٰ هناك وأمطرها النائب العام بوابل من الأسئلة كما انتدب عددا من كبار رجال الكنيسة للتحقيق معها، وكان بينهم راهب يدعىٰ غليوم أمري سألها: تقولين أن الملائكة أوحوا إليكِ أن تقودي جيش فرنسا لأن ربنا يريد نصرتنا، إذا كان ما تقولينه صحيحا فان الرب ليس بحاجة إليك ولا إلىٰ جنود فرنسا لينصرنا علىٰ الإنجليز! فأجابت جان: إن الجنود يحاربون والرب يكتب لهم النصر، إنك تقول كما قال اليهود لنبيهم موسىٰ اذهب أنت وربك فقاتلا. وهذا القول كفر مبين، فافحم الراهب بإجاباتها وأشار بضرورة تنفيذ رغباتها.

أمر الملك بتجهيز فيلق ليكون تحت امر جان، وجعلت جان كلا من الفارسين جان ميتس ودي بولانجيه مستشاريها العسكريين وتطوع العديد من الشبان وانضموا إلىٰ جيش جان حتىٰ بلغ عدد الجنود اثنا عشر ألفا، ولكن قبل البدء بأي معركة أرسلت جان رساله لمحاولة التفاهم وديا أولا مفادها أن الله أرسلها لطرده من فرنسا التي انتهكت سيادتها وعثتَ فيها فساداً. لو أطعتني؛ فسأرحم رجالك وأسمح لهم بالذهاب إلىٰ ديارهم، وستذهب المملكة إلىٰ الملك تشارلز، الأحق بالإرث. والا سنشعلها حرباً ضروساً لم ترَ فرنسا مثلها منذ ألف عام.

ولكن الإنجليز لم يقبلوا فكان أن خاضت جان العديد من المعارك وانتصرت وحررت العديد من الحصون وتمكنت من فك الحصار عن مدينة أورليان وعرفت جان دارك منذ ذلك الحين باسم لابوسيل دورليانز أي عذراء أورليانز وتوج شارل السابع ملكا علىٰ فرنسا وزحفت جان نحو باريس حتىٰ احتلت مدينة سان دينيس عام ١٤٢٩م. وحين اقتربت من مدينة سان أنورا أصيبت بسهم في فخذها الأيمن ولكنها نهضت وحثت الجنود علىٰ متابعة القتال وامتطت فرسها دون أن تأبه بجرحها وألمها، وعادت إلىٰ المعركة وهي تشجع الجنود بقولها: كونوا شجعاناً ولا تتراجعوا، وبعد قليل سيكون النصر لكم. هيا. المدينة لنا. كانت جان دارك رحيمة عطوفة؛ فحينما انسحب الإنجليز من المدينة، في الخامس من مايو قالت لرجالها والرقة تعلو وجهها: لا تلحقوا بهم أي ضرر. وعندما أصبح سقوط باريس وشيكا أمرها شارل السابع بالعودة إلىٰ مدينة سان دينيس ثم أقنعها بالعودة لتبقىٰ بجوار الملك فنفذت الأمر، ولكن كانت قد أصيبت بالحمىٰ من جراء الجرح الذي أصيبت به وبعد أن سادت الفوضىٰ الجيش الفرنسي بعد رحيل جان دارك استولىٰ الإنجليز علىٰ مدينة سان دينيس، ورغم كل ذلك أصر شارل السابع بضرورة بقاء جان دارك معه بحجة أنه يشفق عليها بعد كل ما كابدته من مشقه. تحايلت جان دارك علىٰ الملك وأقنعته بأن يسمح لها بالخروج فخرجت بعدد لا يتجاوز أربعمائة جندي فقط، ودارت معارك صغيره

انتصرت فيها جان دارك ورجالها فزحفت نحو مدينة كومبيان وهناك دارت معركة عنيفة هزمت فيها جان دارك وأسرها البرغانديون، عملاء الاحتلال البريطاني، وباعها الكونت دي لكسمبورج للإنجليز وتمت محاكمة جان التي حكم عليها بالإعدام حرقا رغم أن التقاليد العسكرية لا تسمح بإعدام الأسرىٰ، لاسيما إذا كانوا قادة، بل يتم دفع الفدية لإنقاذهم ولكن الملك شارل السابع لم يفعل بتحريض من بعض رجال حاشيته الذين باعوا ضمائرهم للإنجليز والبورغونيين.

أحرقت جان وهي في التاسعة عشرة بتهمة الهرطقة والسحر وألقي رمادها في نهر السين: وتقول عن هذا: بعد أن أبلغوني بأنهم سيقيدونني إلىٰ شجرة ويحرقون جسدي؛ قلت لهم: لو كنت في مكان إعدامي، وشاهدت الزبانية يشعلون النيران التي تلتهب حين يلقون لها بالأخشاب الجافة، ولو كنت في وسط اللهيب، حتىٰ آنذاك لن اعترف بالمزيد، ألح علىٰ تكرار ما قلته حتىٰ ساعة الموت. ليس لدي المزيد من الأقوال.

يوم الإعدام تُليت عليها موعظة من قبل رجال الكنيسة، استمعت لها بهدوء لكنها انهارت باكية وأخبرتهم أنها قد سامحتهم علىٰ فعلتهم وطلبت منهم الدعاء لها، ويقال أن عدداً من القضاة وبعض الحاضرين بكوا بصمت وأحسوا بغصة، فلم يتفوهوا بكلمةٍ واحدة في حين شعر البعض الآخر بنفاد صبر وطالب بتعجيل الحكم!

وفي عام ١٤٥٦ أصدرت كنيسة روما في السابع من يوليو حكما يقضي ببراءة جان دارك من التهم المنسوبة إليها وفي إبريل عام ١٩٢٠ أقيم حفل كبير في كنيسة سان بطرس واعتبرت جان دارك قديسة من القديسات.

****

غاندي والسبيل إلى الحق

لقد قرأت عن غاندي وسيرته الذاتية (السبيل إلىٰ الحق) الذي كانت منذ بدايته تحمل دروساً أخلاقية تلو الأخرىٰ، وأن غاندي من الشخصيات المؤثرة أخلاقيا ووطنياً، فتشعر برغم أي انتماء ديني لك أنك تسمع قصة نبي معاصر.

هذا المرتدي أقل القليل الناسك الذي يتكأ علىٰ عصاه ويعيش حياة القديسين مناضلا من أجل وطنه. فهو يقدم بحياته نموذجاً للإنسان المثالي، والأخلاقي، لهذا أفردت لسيرته هذه الصفحات من كتابي، لأنني وجدته نموذجاً لابد أن نقدمه إذا كان فحوي حديثنا هو الأخلاق، أو نقدمه لمن يسعي للأخلاق بحق.

المهاتما غاندي أو الروح العظيمة:

كان المهاتما غاندي قائدا سياسيا هنديا بارزا قام بحملة من أجل استقلال الهند، وقد استخدم مبادئ غير عنيفة وعصيان سلمي، وقد اغتيل في عام ١٩٤٨ وذلك بعد وقت قصير من تحقيق هدف حياته في استقلال الهند، وكان يعرف غاندي في الهند باسم «أب الأمة».

«عندما تيأس، تذكر أن كل طرق الحقيقة والمحبة في التاريخ تفوز دائما، فكان يوجد طغاة وقتلة، وكانوا يبدو لا يقهروا ولكنهم في النهاية كانوا يقعون، فكر في ذلك دائما» - غاندي

المهاتما غاندي ولد في ١٨٦٩ في بوربانـدار الهنـد، وكـان والـده مهندس، وكانت والدته أمية، ولكن الحس السليم والتفاني الديني كان له تأثير دائم علىٰ شخصية غانـدي، وكـان شـاب وطالبـا طيبـا، ولكـن وهـو صـبي صـغير كـان خجـول ولا تظهـر أي علامـات القيـادة عليـه، ولدىٰ وفاة والده، سافر من الهند إلىٰ إنجلترا للحصول علـىٰ درجـة في القانون، وشـارك غانـدي في الجمعيـة النباتيـة وطلـب منـه ترجمـة غيتـا الهندوسـية، الكلاسـيكية في الأدب الهندوسـي جعلـت غانـدي يشـعر بالفخر بالكتاب المقدس الهندي.

في هـذا الوقـت، درس الكتـاب المقـدس وخاصـة الاجـزاء الـي تركيز علىٰ التواضع والمغفرة، وظل ملتزمـا بالكتـاب المقـدس طـوال حياته، علىٰ الرغم من أنه كان ينتقد جوانب الديانات.

وبعد إكمال دراسته في القانون، عاد غاندي إلـىٰ الهنـد، وسـرعان ما أرسل إلىٰ جنوب أفريقيا لممارسة القانون، في جنوب أفريقيا، واجه غاندي التمييز العنصري والظلم الذي غالبـا كـان يعـاني منـه الهنـود، في جنوب أفريقيا قاد غاندي حملات العصيان المدني والاحتجاج، ودعـا إلىٰ مظاهرات غير عنيفة، وعلىٰ الرغم من سـجنه لفـترات قصـيرة، إلا أنه دعم البريطانيين في ظل ظروف معينة، وقد تم منحه وسـام مـن قبـل البريطانيين لجهوده خلال حرب البوير ومتمردين الزولو.

بعد ٢١ عاما في جنوب أفريقيا، عاد غاندي إلىٰ الهند في عام ١٩١٥، وأصبح زعيم الحركة القومية الهندية التي تناضل من أجل الحكم المحلي، نجح غاندي في إثارة سلسلة من الاحتجاجات غير العنيفة، وشمل ذلك إضرابات وطنية لمدة يوم أو يومين، سعىٰ البريطانيون إلىٰ حظر المعارضة، ولكن طبيعة المظاهرات والإضرابات غير العنيفة جعلت من الصعب التصدي لها.

كما شجع غاندي أتباعه علىٰ ممارسة الانضباط الداخلي للاستعداد للاستقلال، وقال غاندي أن علىٰ الهنود أن يثبتوا انهم يستحقون الاستقلال، ويتناقض ذلك مع قادة الاستقلال مثل أوروبيندو غوس، الذين قالوا أن استقلال الهند لا يتعلق بكون الهند سيكون لها حكومة أفضل أو أسوأ، ولكن من حق الهند أن يكون لها حكومة ذاتية.

كما اشتبك غاندي مع الآخرين في حركة الاستقلال الهندية مثل سوبهاس شاندرا بوس الذي دعا إلىٰ اتخاذ إجراءات مباشرة للإطاحة بالبريطانيين، غاندي كثيرا ما أوقف الضربات والاحتجاجات غير العنيفة إذا سمع أن الناس كانوا يريدون القيام بأعمال شغب أو عنف.

في عام ١٩٣٠، قاد غاندي مسيرة مشهورة إلىٰ البحر احتجاجا علىٰ قوانين الملح الجديدة، في البحر صنعوا الملح الخاص بهم، في

انتهاك للوائح البريطانية، وقد اعتقل منهم المئات، وكانت السجون الهندية مليئة بأتباع استقلال الهند.

ومع ذلك، في حين كانت الحملة في ذروتها بعض المتظاهرين الهنود قتلوا بعض المدنيين البريطانيين، ونتيجة لذلك غاندي رفض حركة الاستقلال قائلا أن الهند ليست مستعدة، وهذا كسر قلب العديد من الهنود الملتزمين بالاستقلال.

وبعد الحرب، اشارت بريطانيا إلىٰ انها ستمنح الهند الاستقلال، ومع ذلك، وبدعم من المسلمين بقيادة جناح، كان البريطانيون يعتزمون تقسيم الهند إلىٰ قسمين، الهند وباكستان، من الناحية الإيديولوجية كان غاندي يعارض التقسيم، وقد عمل بقوة لإظهار أن المسلمين والهندوس يمكن أن يعيشوا معا بسلام، في صلاة اجتماعاته، تم قراءة الفاتحة إلىٰ جانب الصلوات الهندوسية والمسيحية، ومع ذلك، وافق غاندي علىٰ التقسيم وقضىٰ يوم الاستقلال في الصلاة حدادا علىٰ التقسيم، لكن صيام ونداءات غاندي لم تكن كافية لمنع موجة العنف الطائفي والقتل التي أعقبت التقسيم.

بعيدا عن سياسة الاستقلال الهندي كان غاندي ينتقد بشدة نظام هندو كاست، وعلىٰ وجه الخصوص، كان يناضل ضد الطائفية التي لا يمكن الدفاع عنها والتي عالجها المجتمع بشكل شاذ، وأطلق العديد من الحملات لتغيير وضع المنبوذين، وعلىٰ الرغم من أن حملته قد

قوبلت بمقاومة كبيرة، إلا أنها قطعت شوطا طويلا أمام التحيزات المتغيرة منذ قرن مضىٰ.

في سن ال ٧٨، قام غاندي بسرعة أخرىٰ لمحاولة منع القتل الطائفي، وبعد خمسة أيام اتفق مع الزعماء علىٰ وقف القتل، ولكن بعد عشرة أيام قتل غاندي بالرصاص من قبل الهندوسية براهمة المعارضة لدعم غاندي للمسلمين والنبوذين.

كان غاندي طالبا للحقيقة، وقال غاندي أن هدفه الكبير في الحياة هو أن يستطيع أن يرىٰ الله - بحسب معتقداته -، وسعىٰ إلىٰ عبادة الله وتعزيز التفاهم الديني، وسعىٰ إلىٰ الحصول علىٰ الإلهام من العديد من الديانات المختلفة مثل الجينية والإسلام والمسيحية والهندوسية والبوذية وأدرجها في فلسفته الخاصة.

****

حركات أخلاقية مؤثرة عبر التاريخ

ان التاريخ البشري يذخر بحركات اخلاقية كثيرة، تلك الحركات قامت علىٰ أساس مقاومة أوضاع كانت خاطئة في زمنها، بمعني تغيير الوضع الأخلاقي أو الاجتماعي أو الديني مثلاً في محاولات يوتوبية للتغيير.

وتلك الحركات أو النزعات هي ما يجب تكريمها لأنها حتىٰ وان كانت مجرد محاولات لم تنجح لكنها تبقي حركات عاشها ناس وأمنوا بها لكي يصلوا إلىٰ مستقبل أو حتىٰ حاضر أفضل.

وأنني رأيت أن اذكر بعض تلك الحركات التاريخية لجدوي ادراك مبادئها ومنطلقاتها وكذلك مدي نجاح تطبيقها من عدمه.

ومن تلك الحركات الأخلاقية ما نذكره فيما يلي:

– البوذية هي أول عقيدة دخلت إلىٰ الصين من خارجها، قادمة من الهند في أواخر أسرة هان الغربية (٢٠٦ ق. م– ٢٤م). وهي حركة أكثر من دين والسبب أن بوذا نفسه لم يتكلم عن وجود اله فقد صرح أنه لا يعرف ذلك الأمر وقد قدم فكرته الأخلاقية الخاصة وكذلك اصبحت البوذية في يومنا هذا أكبر الحركات نمواً في الغرب الذي بدأ من زمن ترك مسيحية اجداده فوجد في البوذية السبيل إلىٰ معتقد مريح وحقيقي كما يقولون. ولكن مع امتزاجها بالثقافة الصينية ظهر شكل

جديد من البوذية الصينية يختلف بوضوح عن البوذية الهندية التي تدعو إلىٰ الزهد الصارم والانعزال والتأمل لوقت طويل. وقد صيّن الصينيون البوذية، أي أعطوها طابعا صينيا، ففي القرن السابع الميلادي اعتبر الراهب البوذي الصيني هوي ننغ (٦٣٨- ٧١٣م) أن التهذيب الذاتي بعيدا عن حياة المجتمع لا يمكن أن ينجح، واعتقد بأن البوذي يمكن أن يمارس التهذيب الذاتي خلال حياته وعمله، بل يمكن للفلاح الأُمي تحقيق الاستنارة طالما أنه يعمل بجد ويفي بمسؤولياته الدنيوية. هذه الطائفة البوذية التي وضع هوي ننغ أصولها وتسمىٰ بوذية تشان، تدعو إلىٰ التحرر من قيود تعاليم البوذية وتشجع علىٰ التفكير الحر والجدل بين أتباعها كوسيلة للمعرفة، أي أنها سبقت جدلية هيغل بأكثر من ألف سنة.

وعلىٰ الرغم من أن البوذية الصينية واصلت التأكيد علىٰ أهمية الأسفار البوذية فإنها توحدت مع الأفكار الكونفوشية والطاوية الصينية وانتهت إلىٰ الاندماج التام مع الثقافة الصينية ذات التعددية الواضحة.

- الغنوصية جاءت تسمية الغنوصية gnostisem من الكلمة اليونانية gnosis والتي تعني المعرفة الحدسية الباطنية أو العرفان بمصطلح التصوف الاسلامي. والعارفون هم الغنوصيون والذين يتواصلون بالحقيقة الكلانية المطلقة عن طريق بصيرتهم الداخلية.

فاذا كان الخلاص عند اليهود يكون بالالتزام بشريعة موسىٰ وعند المسيحيين الرسميين القويمين من خلال الايمان بيسوع المسيح. فان الخلاص عند الغنوصي يأتي عن طريق فعالية روحانية داخلية تقود إلىٰ معرفة النفس وفي مستويات اعمق تقود إلىٰ معرفة الله ذوقا وكشفا والهاما. عند ذلك يمكن تحرير الروح الحبيسة في اطار الجسد المادي لتعود إلىٰ العالم النوراني الذي صدرت منه.

يقول المعلم مونويموس: (لمعرفة الله ابدا بنفسك، واهتد إلىٰ من في داخلك يقول: الهي، وعقلي، وافكاري، وروحي وجسدي. اهتد إلىٰ مصدر الاحزان والغبطة والحب والكراهية، فاذا استقصيت هذه الامور، فانك واجده (الله في ذاتك)

يقول المعلم سيلفانوس (اعرف نفسك)، اعتمد علىٰ مرشدك وعلىٰ معلمك فالعقل هو المرشد، من هنا فان من يحقق العرفان لا يغدو مسيحيا، بل مسيحا. أن الله الذي يبحث عنه الغنوصي ليس يهوه إله التوراة واليهود وشعب اسرائيل، بل الأب النوراني الأعلىٰ الذي يتجاوز ثنائيات الخلق ولا يحده وصف أو يحيط به اسم الذي بشر به يسوع وبالأب دعاه والأب السماوي أبي الحقيقة والانوار، الإله الخفي لاباي اسم من أسماء الألوهية التوراتية. ذلك أن ما يميز الغنوصية هو اعتقادها بأن عالم المادة الذي يتخلله الشر ليس من صنع الله، بل من صنع إله أدنىٰ هو إله التوراة يهوه والذي يوازي انجرا

ماينو شيطان الزرادشتية والذي خطف روح الإنسان الذي خلقه الأب السماوي وحبسه في قوقعة الجسد المادي.

إن العالم الذي نعرفه هو عالم الشر لأنه ظهر إلىٰ الوجود نتيجة عملية سقوط تمت في عالم الألوهة، شبيهة بسقوط إبليس، وقادت إلىٰ أن تكون المادة الكثيفة المناقضة لعالم الأنوار الروحاني الأعلىٰ وإلىٰ تشكيل عالمنا انطلاقا من هذه المادة. فجاء عالمنا ناقصا سمته الألم والمرض والموت، وينجم عن هذه العقيدة لدىٰ الغنوصيين، رفضهم للعالم، ورفضهم لإله هذا العالم. وهكذا فقد حلت الغنوصية مشكلة وجود الشر في العالم بطريقة مبدعة وجديدة علىٰ الفكر الديني. وذلك بابتكارها لفكرة الأب الأعلىٰ مصدر عالم النور الروحاني. والإله الأدنىٰ مصدر العالم المادي عالم الجهل والظلمات.

- جماعة الحفارون هي حركة راديكالية بروتستانتية أسسها جيرارد ونستنلي عام ١٦٤٩.

سعت الحركة إلىٰ مقاومة الفقر وسيطرة رجال الكنيسة الكاثوليكية علىٰ مقدرات الشعب، وكانت تنادي هذه الحركة الثورية بأن الأرض هي ملك للجميع وبإلغاء المال وتوزيع الثروات الطبيعية علىٰ الشعب بالتساوي وزراعة الأرض في نظام اشتراكي وتقديس العمل الجماعي ولهذا فقد دعيت بحركة الحفارون، وقد قامت

الحركـة فعـلاً بالاسـتيلاء علـىٰ الأراضـي وزراعتهـا علـىٰ تـل سـانت جورج وليتل هيث وويلنبرج وايفر، وتعد هذه الحركة هي أول حركـة أناركية اشتراكية في العصر الحديث.

- ويطلق علىٰ أنها الإصلاح البروتستانتي إلىٰ الحركـة الدينية التي بدأها مارتن لـوثر، والراهـب الألمـاني، الـذي انتقـد بشـدة سياسـة الدينية من البابوات في ٣١ أكتوبر ١٥١٧، عندما نشرت وعلقت كتابه الشهير ٩٥ اطروحات علىٰ باب كاتدرائية فيتنبرغ في ألمانيا قبـل ٥٠٠ عام.

مـن جانبهـا، البروتسـتانت هـو صـفة تسـتخدم عنـدما يختلـف الشخص مع شيء ما، وهـو المصـطلح المعتـاد اسـتخدامه في الكنيسـة الكاثوليكية للإشارة إلىٰ اللوثرية وتداعياتها.

نتيجة للانتقادات التي وجهها مارتن لوثر، تم حرمانه بعد تمـرده علـىٰ الكنيسـة الكاثوليكيـة مـن قبـل البابـا ليـو العاشـر، تـزوج لاحقًـا واستمر في تأملاته حول الإصلاح البروتستانتي.

قا لما بشر به لوثر، فإن الإيمان هو هدية مجانيـة يمتلكهـا النـاس وهو عمل الله. بعـد أن تمكنـت مـن تحديـد هـذا المعنـىٰ، كـان الـوحي والإضاءة الذي غيّر معنىٰ الكتب المقدسة التي كان لوثر سابقًا.

الأسباب الأخرىٰ التـي أضـافت أيضًـا إلـىٰ السـخط هـي انشـقاق الغـرب، عنـدما اشـتبك ثلاثـة بابـاوات حـول السـلطة البابويـة، وبدايـة الرومانسية، وموقف هؤلاء الكهنة الذين لم يكونوا علىٰ علم بالكتاب

المقـدس، كـانوا مـدمني الخمـر والزنـاة، ولـم يكونـوا مثـال جيـد للكاثوليكية.

لذلك، بمجرد أن قرر لوثر أن الوقت المناسب قد حان لإظهار وحيه ومعرفته، كتب ٩٥ أطروحة كجزء من نقاش أكاديمي كشف فيه خلافاته مع المبادئ الأساسية للمسيحية واكتشافه للبقية. الكنيسة الكاثوليكية.

ما تبعه بعد ذلك كان جدلًا كبيرًا، هاجم لوثر مباشرة بيع جون تيزل للتساهل في ألمانيا، حيث كانت طريقة حقيرة للكنيسة، كمؤسسة، للاستفادة من المدفوعات التي دفعها الناس لإخراجها من المطهر أرواح أحبائهم.

توسع أطروحات لوثر، التقىٰ البابا والأساقفة لتحديد خطة ضد الإصلاح، والتي تسمىٰ الآن الإصلاح المضاد. في ذلك الوقت، تم النظر في ما يلي:

رد محكمة التحقيق المقدس: تهدف إلىٰ اضطهاد وسجن ومعاقبة أولئك الذين يعتبرون أنفسهم بروتستانت أو غير كاثوليك.

وبعد صراع مرير انتصرت البروتستانتية الإصلاحية في حربها مع سلطان الكنيسة الكاثوليكية في عصور الظلام تلك وكان الإصلاح البروتستانتي انتفاضة روحية أثرت علىٰ وجهات النظر الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في ذلك الوقت وحتي يومنا وهو جزء من أهم الأحداث في الإنسانية.

- أحـزاب الخضـر أو أحـزاب إيكولوجيـة أو أحـزاب البيئـة، (بالفرنسـية: Partis verts) هـي أحـزاب سياسـية ومنظمـات تهـتم بالطبيعة وتدعو لنهج سياسة من أجل الحفاظ على البيئة، أغلـب هـذه الأحزاب يسارية-اشتراكية، لكـن هـذا لا يمنـع مـن تموقـع بعضـهم في اليمين أو الوسط، المهم أن يضع الحزب الحالة الطبيعية والبيئة علىٰ قائمة أولوياته.

توجـد أحـزاب الخضـر في أوروبـا وكنـدا والعديـد مـن الـدول المتقدمة وخاصة الصناعية التي تلوث البيئة، الشيء الذي دفع لظهـور هذه الأحزاب.

- الثيئوصوفيا ا (الحكمـة الإلهيـة/ بالإنجليزيـة: Theosophia) أو الثيوصوفية تتكون هذه الكلمة من مقطعين هما (ثيو) بمعنىٰ (إله أو إلهـي)، و(سـوفوس) التـي تعنـي الحكمـة، وبـذلك يكـون معناهـا (الحكمة الإلهية). الثيوصوفيا مصطلح ديني فلسفي ظهـر في جـذوره الأولىٰ كممارسات روحية في الشرق الأقصىٰ القـديم بشـكل خـاص، ولكنه، مصطلحٌ، ظهر علىٰ يد أمونيوس ساكاس في العصر الهيلنستي، وهـو مؤسـس الأفلاطونيـة الحديثـة، الـذي كـان أسـتاذٌ للفيلسـوف أفلـوطين أحـد أكـبر أعلامهـا. وظـل التيـار حيـا في الجمعيـات الدينيـة الفلسفية السرية حتىٰ قامت هيلينا بتروفنا بلافاتسكي، التـي وضـعت مبادئ الحكمة الأزلية، وترىٰ أن الأديان واحدة في جوهرها مختلفة في

شكلها، ولكنها، وهي تنبثق من الحقيقة الإلهية الواحدة، وعلىٰ الرغم من أنها ترىٰ أن الثيوصوفيا لا علاقة لها بدين محدد ومعروف، فهي ترىٰ أنها (دين الحكمة)، التي تسميها الأدبيات الثيوصوفية بـ: الفلسفة الباطنية.

والحقيقة أن الثيوصوفيا تؤسس لها عالما روحانيا خاصا بها، علىٰ الرغم من وجود المؤثرات الأفلاطونية، والبوذية، والهندوسية، والغنوصية فيه، فهي جمع لهذه الاتجاهات الروحية، والفلسفية، والدينية، وإعادة إنتاج لها.

والثيوصوفية كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين معناهما الحكمة الإلهية استُعملت منذ ألف وستمئة سنة للدلالة علىٰ معتقد أهل الفلسفة الذين يقولون أن في الإنسان جوهراً روحيًّا من الجوهر الإلهي المُنبَثّ في الكون. وهذا المعتقد كان شائعا قبل ذلك في بلدان المشرق وجرىٰ علىٰ رسوم الأديان الشائعة فيه كما جرىٰ معتقد فلاسفة المغرب علىٰ رسوم الديانة المسيحية. ويُسمَّىٰ في المشرق بالعلم الروحي (أتمافديا) والعلم السري (غبتافديا) ونحو ذلك من الأسماء. ويدَّعي أصحابُه أن جميع الحكماء والمتشرعين مثل مانو وبوذا وكنفوشيوس وفيثاغورس وأفلاطون كانوا من دعاته واقتبسوا معارفهم منه، ولذلك يسمَّىٰ بديانة الحكمة.

-وقد ظهرت الكثير من النزعات الأخلاقية ام فردية أو جماعية في شكل حركات أو جمعيات لكن أن أعظم تلك الحركات في مبادئها أو منطقية مبادئه هو ما أجعلني أذكر ما سبق دون الحركات (الكثيرة) الأخرىٰ، فالبروتسانتية وحدها مثلا انجبت الخمسينية والمعمدانية وشهود يهوه والاخوة والادفنتست وحتي المورومون ولكن إذا كان أتفاقي مع الحركة البروتستانتية الأولي فأنني لا استطيع الموافقة علىٰ كل الايمان الخمسيني والمعمداني. الخ وهناك حركات التصوف بكل مدارسها وطرقها ولكن حين ذكرت الغنصوية الباطنية فالتصوف الاسلامي ضمنيا يعتبر جزء منها، ولم أعتبر أديان كبري كالزرادشتية والهندوسية والفرعونية حركات لأنها اديان كبري، ربما هناك بعض الاديان كالسيخ مثلاً هي بدأت كحركة دينية وتحولت إلىٰ دين كذلك البهائية ولكن لأن تلك المبنية في الاساس علىٰ الدين الاسلامي فهي في نظري فرق خارجة عن الاسلام كما يصنفها حتىٰ اصحاب الفتوي، وان الحركة الأخلاقية في رأيي هي القادرة علىٰ تغيير وضع ما صادرة عن الشعب العادي وليس الجهات الكبرىٰ، صانعة لثورة في المفاهيم وليست مطابقة لمقال الاقدمين، وفي هذا انني اري حتىٰ المسيحية والاسلام اديان ثورية أخلاقية وأعطت للتاريخ البشري تغيير حقيقي مؤثر.

****

القيم الأخلاقية

١- أن أول قيمة أخلاقية أري بوضوح أهمية موقعها في مجمل الأخلاق الحميدة هي (العلم) والسبب أن أول شيء عليك فعله هو أن تعرف، أن تتعلم، أن تحصل المعرفة والمعارف، ولأن الله خلق العالم يحمل من المعرفة والعلم ما يحملان الإنسان علىٰ فهم نظامه ودراسة الكون بتدقيق، فإن العلم أرفع منزلة من باقي الصفات الحميدة، وكذلك أن التقرب للخالق بتحصيل المعرفة لهو عبادة جليلة، وتحصيل العلم مطلب لتوسيع المدارك وزيادة الوعي وايضاً تهذيب العقل والنفس معاً، وقد قيل في العلم:

- لا يوجد شرف كشرف العلم، ولا يوجد حسب كتواضع الإنسان.
- إن التشاغل بالدفاتر والمحابر، والكتابة والدراسة. أصل التعبد والتزهد، والرياسة والكياسة.
- الناس موتي وأهل العلم أحياء.
- إنّ كنت غير مطلع علىٰ العلوم في القرن الحادي والعشرين، فقط ارجع إلىٰ كهفك؛ لأنّ هذا هو المكان الذي سنتركك فيه مع تقدمنا للأمام.
- لتنمية فكر ناضج ادرس علم الفنون، ادرس فن العلوم، تعلم كيف تبصر، أدرك أن كل شيء مرتبط بكل شيء آخر.

- بداية كل العلم هو دهشة ما هي الأشياء.
- التعليم جواز السفر إلىٰ المستقبل.
- تسعة أعشار التعليم، تشجيع.
- مهمة المعلم أن يزرع الصحراء، لا أن يقتلع الحشائش الضارة من الحقول.
- علّم الناس علمك، وتعلّم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك، وعَلِمْتَ ما لم تعلم.
- المدينة العظمىٰ هي التي يسود فيها العلم والحرية والإخاء والوفاء.
- طلب العلم شاق ولكن له لذة ومتعة والعلم لا ينال إلا علىٰ جسر من التعب والمشقة ومن لم يتحمل ذل العلم ساعة يتجرع كأس الجهل أبدا.
- المعرفة التي لا تنميها كل يوم تتضاءل يوما بعد يوم.
- من فتح مدرسة أقفل سجناً.
- اطلب العلم ولا تكسل، فما أبعد الخير عن أهل الكسل.
- الإنسان يحب أن يتساءل، وهذا هو بذرة العلم
- إن توقفك عن التعلم لقلة الوقت يشبه إيقاف ساعتك علىٰ أمل تثبيت الزمن.
- لا يمكن للمرء أن يحصل علىٰ المعرفة إلا عندما يتعلم كيف يفكر.

- ن المعرفة لم تعد قوة في عصر السرعة والإنترنت والكمبيوتر، إنما تطبيق المعرفة هو القوة.
- إن أعمال القدماء غير كافية، وغامضة من أجل تقديمها للطلاب، لذلك يجب أن تصحح وتكمل حتىٰ يستفيدوا منها أكثر ما يمكن.
- المهم في العلم ليس أن تحصل علىٰ حقائق جديدة، بل أن تكتشف طرق جديدة للتفكير في هذه الحقائق.

٢- أما قيمة العمل وهو مشترط أن يكون عمل علىٰ علم وفهم، إذن فالعمل مقترن بالعلم، فهي قيمة اجتماعية وفردية، فاحتياج المجتمع للفرد العامل الدؤوب هو احتياج الماكينة إلىٰ تروسها الرئيسية، لهذا قد تم تقديس العمل علىٰ أن يكون بإتقان وان يكون بنشاط وهمة وأن يكون عمل لفائدة الناس، عندها يكون العمل قيمة اخلاقية ممدوحة ومطلوبة ومما قيل عن العمل ما يلي:

- هناك ثلاثة أساسيات عظيمة لتحقيق أي شيء ذو قيمة وهم العمل الجاد والتمسك به والسلوك الحسن.
- دون العمل الشاق لا ينمو أي شيء.
- الطاحونة الدائرة دائما لا تبرد أبداً.
- كون البعض أغنياء يثبت أن الآخرين يمكنهم أن يكونوا أغنياء أيضاً، وهذا يشجع العمل والصناعة.

- النحلة العاملة ليس لديها وقت للحزن.
- التركيز هو أساس النجاح في السياسة، في التجارة، في العمل، وفي العلاقات الانسانية كافة.
- غبار العمل ولا زعفران البطالة.
- ليست الأرض عطشىٰ لدماء البطال بل لعرق الرجال.
- القمح والعمل الصالح لا ينبتان إلا في أرض طيبة.
- عمل الصباح يساوي ذهبا.
- إن الله خلق الأيدي لتعمل فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.
- عجلة الحظ لا يدفعها إلا العمل.
- أتقن عملك تحقق أملك.
- قليل من العلم مع العمل به أنفع من كثير من العلم مع قلة العمل به. لا تهتم بسرعة العمل بل جودته، لأن الناس لا يسألونك في كم فرغت منه بل ينظرون إلىٰ إتقانه وجودة صنعه.
- بالعمل نخرج النار من الحجارة.
- ان الله يعمل مع من يعمل.
- بعد أسبوعين من العمل علىٰ المشروع ستعرف أن كان سينجح أم لا.

- ان في امكـان عقلـك أن يـدهش جسـمك اذا اسـتطعت أن تقول لنفسك: يمكنني تحقيق ذلـك، يمكنني عمـل ذلـك، يمكنني عمل ذلك.
- تضعك المعرفة في صـفوف الحكمـاء، ويضـعك العمـل في صفوف الناجحين، ويضعك التفاهم في صفوف السعداء.
- العمل الناجح يولد ولادتين: ولادة نظرية، واخرىٰ عملية، ولابد من الاثنتين وترتيب تتابعهما.
- يحتاج المرء إلىٰ عشرين عامـًا كي يحقق نجاحـًا بين عشية وضحاها.
- لا يدرك الإنسان دروس الحياة إلا حين يعمـل، سـواء كـان هذا العمل هو حفر القبور أو بناء القصور.

٣- الحب والمحبة هما باختصـار شـديد ركيـزة المجتمـع، والأسـرة، وأساس كل علاقة سوية داخل المجتمع، والمحبة هي صفة الهيـة نحملهـا نحـن البشـر، ومـن ابنائهـا (السـلام، التحـنن، الرحمـة، التسامح، المودة، التقبل، الأحساس والشعور) لهذا فالمحبة قيمة أخلاقية عظيمة وهيٰ أجمـل مـا يحملـه الإنسـان مـن طبيعـة، بينمـا العلـم والعمـل همـا الأعظـم، وكـذلك نـورد بعـض الأقـوال عـن الحب:

- ان حياة الانسان لا تبتدئ في الرحم كمـا انهـا لا تنتهـي امـام القـبر، وهــذا الفضــاء الواســع المملــوء بأشــعة القمــر

والكواكـب لا يخلـو مـن الارواح المتعانقـة بالمحبـة والنفوس المتضامنة بالتفاهم.

- المحبة قوية كالموت والغيرة قاسية كالقبر
- المحبة هي الحرية الوحيدة في هذا العالم لأنها ترفع النفس إلىٰ مقام سام لا تبلغه شرائع البشر وتقاليدهم ولا تسوده نواميس الطبيعة وأحكامها.
- وأنا أحبك والمحبة هي العدل بأسمىٰ ظواهره، فإن لم أكن عادلاً بمحبتي لك في كل المواطن، كنت ساتراً بشاعة الأنانية بثوب المحبة البهي.
- هذا زمان الضنك يا سادة برغم العلم والاختراعات، لقد تقدمنا، كسبنا الكثير، لكن ما خسرناه كان أكثر، خسرنا النبل والإنسانية والمحبة والبساطة.
- لا تحفظ الأبدية إلا المحبة لأنها مثلها
- منبر الإنسانية قلبها الصامت لا عقلها الثرثار.
- ربما عدم الاتفاق أقصر مسافة بين فكرين.
- الحقيقة تعلن لنا عن ذاتها عن طريق المحبة، وإذا قُتلت المحبة خسرنا جميعاً الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة.
- الصديق المزيف كالظل، يمشىٰ ورائي عندما أكون في الشمس، ويختفىٰ عندما أكون في الظلام.
- يمكننا عمل الكثير بالحق، لكن بالحب أكثر.

- حطّم سيفك، وتناول معولك واتبعني، لنزرع السلام والمحبّة في كبد الأرض.
- الْمَحَبَّةُ تَصْبِرُ طَوِيلاً؛ وَهِيَ لَطِيفَةٌ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسُدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ وَلا تَتَكَبَّرُ. لَا تَتَصَرَّفُ بِغَيْرِ لِيَاقَةٍ، وَلا تَسْعَىٰ إِلىٰ مَصْلَحَتِهَا الْخَاصَّةِ. لَا تُسْتَفَزُّ سَرِيعاً، وَلا تَنْسِبُ الشَّرَّ لأَحَدٍ.
- فيا أيَّتها المحبةُ العادلةُ، يا منْ كبحتِ جماحَ رغائبي بيدكِ القديرةِ، وحوَّلتِ مجاعتي وعطشي إلىٰ إباءٍ وشممٍ، لا تأذني للقويِّ العزومِ فيَّ، أن يأكلَ الخبزَ، أو يشربَ الخمرَ، اللذينِ يستهويانِ ذاتي الضعيفةَ. ذريني بالأحرىٰ فأقضي جوعاً، بلْ دعي قلبي يتلهبُ عطشاً، واتركيني أموتُ وأفنَىٰ، قبلَ أن أمدَّ يدي لقدحٍ لم تملئيهِ أو كأسٍ لم تباركيهِ.
- الصداقة ثلاثة أنواع: الأولىٰ مبنية علىٰ المصلحة والفائدة، والثانية علىٰ المتعة والمرح، لكن مصيرهما الزوال، لأن الملذات والمصالح قصيرة الأمد، وتجمع الصالحين والطالحين برفاقهم. أما الثالثة فأساسها المحبة وطيبة القلب، وهذه تجمع النبلاء فقط.

٤- عمل الخير، والخير هو أحد القيم الفلسفية الكبرىٰ أو لنقل الحقائق الأسمىٰ (الحق، الخير، الجمال) أما الحق فأن أكون علىٰ يقين، وأما الخير فإن فهو كل عمل صالح يصدر عنىٰ فيخدم شخص أو مجتمع أو حيوان مثلا، وأما الجمال فهو كل شيء ناتج عن الحق والخير، لأن الحق دائمـًا جميل، والخير ثماره جميلة، وعن الخير قد قيل:

- إن فعل الخير هو أفضل عبادة يمكن أن نقدمها لله.
- لا يستطيع بعض الأشخاص تصور القيام بعمل فيه منفعة للآخرين دون أن يحصلوا علىٰ مقابل، ويريدون المقابل الآن ولا يعرفون كيف يعمل الكون، كما لا يعرفون أن العمل يقدّر قيمته الله ويجزيهم عليه في الدنيا قبل الآخرة بطرق لا يتوقعونها وفي المناطق التي تحتاجها روحهم فعلاً، فينعكس هذا عليهم حبـًا وقربـًا من الناس، وبركة وتيسيراً للأعمال، وسعة في الحال والرزق.
- بقدر ما يعطي الحكيم بقدر ما يغتني شخصيـًا.
- النحلة تجد المتعة في جني العسل من الزهرة، والزهرة أيضـًا تجد المتعة في إعطاء الرحيق للنحلة، والنحلة والزهرة تجدان حاجة ونشوة في الأخذ والعطاء.
- بورك من ملأ حياته بعمل الخير لأنه أدرك أنها أقصر من أن يضيعها بعمل الشر.

- عليك الزرع قبل أن تتمكن من الحصاد، كذلك يجب أن تعطي قبل أن تتمكن من الأخذ.
- إذا أردنا مجتمع متسامح، فلابد أن نسعىٰ لفعل الخير والمعروف.
- الضمير هو نور الذكاء لتمييز الخير من الشر.
- مثلما يعود النهر إلىٰ البحر، هكذا يعود عطاء الانسان اليه.
- ان تُحْسن لمَن أحسنَ إليْك الكُلُّ يستطِيع ذلِك، لَكِن أن تُحْسن لمَن أسَاء إليْك ذَلِك لا يستَطيع فعْلهُ إلا العُظَماء.
- لا تقاس أعمار الأمهات بالسنين، ولكن بما استودعه الله في قلوبهن من خير العطاء.
- لا شيء يخلصنا من المصائب كالخير الذي نفعله.
- فتشت عن الاديان فوجدت عمل الخير ديني.
- الخير فيه ثوابه وإن أبطأ، والشر فيه عقابه وقلما أخطأ.
- الذي يعلم الناس الخير ولا يعمله بمنزلة من بيده سراج يضيء لغيره.
- انظر كم تنشر هذه الشمعة الصغيرة بعيدا ضوؤها، هكذا يشع العمل الخير في العالم الشرير.
- الرعد الذي لا ماء معه لا ينبت العشب، كذلك العمل الذي لا إخلاص فيه لا يثمر الخير.
- لقد علمتنا الصحراء أن نصبر طويلا حتىٰ ينبت الخير.

- انثر بذرك وامض ولا تلو علىٰ شيء، ودع أيا كان يحصد ما بذرت.
- أحببت الخير للخير، وكرهت الشر للشر، وهذا وحده يكفيني في التقدم به إلىٰ الله.

٥- الطموح الشخصي أو يقول هذا الشخص طموح، فهي صفة حميدة، ويمدح من يمتلكها أو يعرفها، لأن الطموح نابع عن شغف وعن ثقة بالنفس وإيمان بالغد والفتائل وكل هذه الصفات الجميلة معًا تنجب الطموح الواثق فلان من تحقيقه، لكن علىٰ الإنسان أن لا يطمح فيما هو أعلي لأنه أولاً سيفشل أو يلجأ إلىٰ طرق منحرفة لتحقيق طموحه وثانيًا لأنه يجب علىٰ الإنسان الا يتع إلىٰ فيما يطمح وإلا تحول الطموح الحميد إلىٰ طموح متعجرف غير واقعي، واذ تمتلك طموح في مجال أو أمر ما عليك بتطوير نفسك فيه لتستحق تحقيقه ويصبح انجازا لك، والله خلق هذه الحياة لنحلم ونطمح ونتمنىٰ ونخطط للأفضل، وقالوا عن الطموح:

- بمقدور نفس الطموح أن يدمر أو ينقذ، وأن يصنع من أحد بطلا ومن آخر وغدا. الغرور والطموح صنعا الثورة، أما الحرية فكانت التبرير.
- الرجل الحقيقي هو الذي يستوعب طموح وأحلام وتطلعات المرأة إلىٰ العطاء في ميدان العمل.

- الزمن هو الناقد الوحيد الذي ليس لديه طموح.
- الجنة علىٰ الأرض هي خيار نصنعه نحن وليست مكانًا نبحث عنه.
- الذكاء دون طموح كالطير دون أجنحة.
- أكون أو لا أكون، هذا هو السؤال.
- الأهم من أن تتقدّم بسرعة هو أن تتقدّم في الاتجاه الصحيح.
- اهتم بأن تحصل علىٰ ما تحبه، والا ستكون مجبراً علىٰ أن تقبل ما تحصل عليه.
- · تضعك المعرفة في صفوف الحكماء، ويضعك العمل في صفوف الناجحين، ويضعك التفاهم في صفوف السعداء.
- إن قيمة الرجل ليست أكبر من قيمة طموحاته.
- الطموح هو الطاقة الروحية في حياة الإنسان وهو الخطة العقلية التي تنظم حياتنا، والتي تدفعنا نحو المستقبل، ولا قيمة لوجود الإنسان أن لم يكن طموحا.
- ابدأ صغيرًا، فكر كبيرًا، لا تقلق علىٰ أشياء كثيرة في نفس الوقت، ابدأ بالأشياء البسيطة أولاً ثم تقدم إلىٰ الأشياء الأكثر تعقيدًا.

- ابدأ صغيرًا، فكر كبيرًا، لا تقلق علىٰ أشياء كثيرة في نفس الوقت، ابدأ بالأشياء البسيطة أولاً ثم تقدم إلىٰ الأشياء الأكثر تعقيدًا.
- تصرف كما لو أنه من المستحيل أن تفشل. لا نحقق الأعمال بالأمنيات وإنما بالإرادة نصنع المعجزات.
- الطموح مثل الحب، يحتاج الصبر أمام المنافسين والتأخير الخارج عن السيطرة.
- شابٌ دون طموح كرجلٍ كبيرٍ في العمر يبحث عن نفسه.
- إِذا غامَرتَ في شَرَفٍ مَرومٍ
فَلا تَقنَع بِما دونَ النُجومِ
فَطَعمُ المَوتِ في أَمرٍ صَغيرٍ
كَطَعمِ المَوتِ في أَمرٍ عَظيمِ

٦- الرحمة وهي فعل من هو في موقف قوة أمام من هو أضعف، فان كان مخطئًا رحمه، وايضًا من الرحمة أن ارحم حيوانًا ضعيفًا من المشقة مثلاً واخذه إلىٰ بيتي أو أقدم له طعام، ومن الرحمة أن أتهاون في حقوقي لأنني لا اريد إيذاء من اذاني، وكما قلنا يكون الشخص في قوة فيرحم وان كان في ضعف وقد رحم ما فائدة رحمته، فهو لا يقدر أن يفعل شيء بالأساس، ولهذا ايضًا الرحمة صفة الكبار، وصفة الاله الذي يتسامح مع البشر فيغفر لهم، ومما قيل عن الرحمة الجميلة:

- جور العباد يجعلنا نتذكر لطف ورحمة رب الأرباب.
- لا رحمة لمن لا يستحق الرحمة.
- أرحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء.
- حين توشك على السقوط تجد إشارة تدلك أنه ما كان سقوطًا وإنما كانت رحمة الرب لتتعلم كيف تقف.
- مآسي الكون وكوارثه ما هي إلا أقنعة أما الباطن العميق هو الرحمة.
- الرحمة فوق العدل.
- الرفق واللين من أجمل صفات الإنسان، لذا يجب التحلي بهم دائمًا.
- لأَنَّ الرَّحْمَة في الخلق رقة القلب، ورقته علامة الإيمان، ومن لا رأفة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا رحمة عنده شقي
- الرحمة لا تشتري ولا تلقن بل هي وافرة في اعماق القلوب النقية.
- دائمـًا الرب يرحم الضعفاء، أما الشخص الجبار العنيف القاسي الشديد، يكون بعيداً عن رحمة اللّه.
- · الرفق لا يأتي الا بالخير. من يحرم الرفق يحرم الخير كله.

- الرحماء قليلون وهم أركان الدنيا وأوتادها التي يحفظ بها الله الأرض ومن عليها ولا تقوم القيامة إلا حينما تنفد الرحمة من القلوب.
- محب الفقراء يكون كمن له شفيع في بيت الحاكم ومن يفتح بابة للمعوزين يمسك في يده مفتاح باب الله.
- الرحمة تصعد الانسان إلىٰ علو شامخ وتنسب له دالة بليغة عند الله فكما أن الملكة اذا اثرت الدخول إلىٰ الملك لا يجسر احد من الحجاب أن يمنعها أو يسالها عن المكان الذىٰ تريد الذهاب الية بل كل رجال البلاد يستقبلونها بابتهاج هكذا من يعمل الرحمة (الصدقة)يمثل امام الله (الملك) وهو علىٰ عرشة بدون عائق لكون الباري يحب الرحمة حبا شديدا لأنه يعفو عنا كل يوم من أجل الرحمة.
- من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة.
- يجب علينا ألا نسمح لتظاهرنا الخلاق أن ينحدر إلىٰ مستوىٰ العنف البدني.
- الرحمة هي شارة النبل الحقيقية.
- الرحمة أعمق من الحب وأصفىٰ وأطهر، فيها الحب وفيها التضحية.
- طوبىٰ للرحماء فإنهم يرحمون.

٧- حق الجار، وهو أهم تشريع اجتماعي ومنه عدم الزنا مع زوجة شخص أخر وهو ما يسمي بالخيانة الزوجية، عدم التعدي علىٰ أملاك شخص اخر في المجتمع، عدم السرقة، منع الايذاء البدني والنفسي لتجريمه، عدم استعمال الحقوق الفردية فيما يتعدىٰ به الإنسان علىٰ حقوق أو حرية شخص أخر، وايضاً عدم تكفير جارك في المجتمع أن كان علىٰ دين يختلف عنك أو عدم التعرض لحرياته الدينية بوجه عام، واهمية هذا العمل الأخلاقي والتشريعي هو أنه قانون اخلاق وتشريعي المهم أكثر بالنسبة للمجتمع وامام القضاء، اما النوايا الخيرة أو الشريرة فلا ثواب أو عقاب عليها من المجتمع والسبب أن كانت النوايا لا تترجم إلىٰ أفعال مضرة فهي بين الإنسان وضميره أو بينه وبين ربه وما يهم المجتمع هو أن يعرف الفرد أن واجبه عدم التعدي علىٰ الآخر وقالوا عن حقوق الأفراد في المجتمع:

- في القانون الإنسان مذنب عندما ينتهك حقوق الآخرين، في الأخلاق مذنب إذا كان يفكر في القيام بذلك.
- من يرم الشوك لدىٰ جاره يره ينبت في حديقته.
- كن في حرب مع عيوبك وفي سلام مع جيرانك ودع كل عام جديد يجدك رجلاً أفضل.
- أحب لأخيك ما تحب لنفسك، وتحب قريبك كنفسك.
- لا تقاوموا الشر بالشر، بل أغلب الشر بالخير.

- لا تشته أمرأه قريبك.
- لا تسرق، لا تقتل.
- فلسفة الإسلام العامة انطوت علىٰ تبنٍ كامل لحقوق الإنسان من خلال احترام النوع الإنساني، وتكريمه الواضح لبني الإنسان، ومساواته بين البشر جميعًا في أصل النشأة والخلق، وربطه قيمة الفرد بالعمل الذي يقوم به.
- أنا أحترم حق كل إنسان في الإيمان بما يقوده إليه عقله، لكل إنسان الحق في الإيمان بكل ما يراه معقولًا، وأتوقع من غيري أن يعترف بحقي في ذلك أيضًا.
- لا خلاف حول وجوب توفير كل السبل والوسائل التي تهيء البيئة المناسبة لممارسة الحريات الدينية، وإتاحة حرية الاعتقاد.
- . احترام حقوق الإنسان أهم من احترام الثقافات، الإنسان له حقوق أما الثقافات والمعتقدات فلا
- تعريفي للأمن هو حالة الطمأنينة التي تكون عليها كل امرأة تمشي ليلا، وحيدة، في أي مدينة أو قرية.
- نحن نؤمن بأن الحقوق الآتية من البديهيات؛ أن جميع البشر قد خُلِقوا متساوين، وأن خالقهم قد حباهم بحقوق معينة لا يمكن انتزاعها، من بين هذه الحقوق حق الحياة والحرية والسعي لتحقيق السعادة.

- مبدأ العين بالعين سيحول العالم كله إلىٰ عميان.
- من لا يهتم إلا بحقوقه ويهمل رعاية حقوق الآخرين، يعيش وحده ويموت وحده.

٨- العطاء والتكافل الاجتماعي، هما مصطلحان احدهما ديني والأخر اجتماعي، فالديني وضع الزكاة في الإسلام والعشور في المسيحية والصدقة في اليهودية ومثلهم في باقي الأديان والسبب في الدعوة لهذا العطاء كما يري الدين أنه عمل خير يطلبه الله ممن يملكون ليعطوا من ليس له وعلي اساس قبول الانسان لإعطاء شخص أخير من ماله يحدد له الله ثوابه أو عقابه، أما التكافل الاجتماعي فهو مصطلح مدني ظهر مع الدول الحديثة والغرض منه القضاء علىٰ الظواهر الاجتماعية السيئة داخل الدولة والهدف وصول الدولة إلىٰ الحالة المثالية ودول العالم الراقي، فهو مطلب شعبي وكذلك حكومي، للحد من الفقر أو أطفال الشوارع أو الجهل أو فقر الدولة نفسها، وكل الدول المتقدمة والتي تسعي للتقدم حالياً تسعي لوضع برامج أكثر كفاءة في التكافل الاجتماعي، وان كان العطاء الديني والتبني وغيره افعال مطلوبة من الأفراد حتىٰ قبل المؤسسات الدينية والحكومية، فإن التكافل الاجتماعي فعل مطلوب من أجهزة الدولة ومؤسسات المجتمع المدني وكذلك يشجع الاعمال الفردية المباركة في هذا الامر، وقالوا عن العطاء والتكافل:

- مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ.
- وان قدمت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك.
- لا يعجز القوم إذا تعاونوا.
- اجتماع السواعد يبني الوطن واجتماع القلوب يخفف المِحن.
- التعاون قانون الطبيعة.
- إن الالتزام الفردي بجهد الجماعة هو الذي يجعل الفريق يعمل دائمًا، والشركة تعمل، والمجتمع يعمل، والحضارة تعمل.
- لا أحد يستطيع أن يعزف سمفونية لوحده، فهي تحتاج إلىٰ فرقة لتعزفها.
- ما أروع أن تتعاونَ النَّحلة والزهرة من أجل صُنع العَسل، وتقديمه للإنسان شرابًا نافعًا لذيذًا!
- سَكَن التعاونُ قلوبَ أبناء أمَّة مخلِصة، فشادوا حضارةً عريقة فوقَ أرض قاحلة لا يَنبت فيها سوىٰ الشِّيح والقيصوم، ولا تطيرً في سمائِها إلاَّ الغربان وزوابعُ الغبار.
- عندما تُمطر سحابةُ التعاون علىٰ حقولِ النُّفوس، فإنَّ زهورَ العطاء تنبتُ في الأكفِّ الصَّادقة التي لا تَفتأُ تُصافح بعضُها بعضًا.

- يد وحدها، غير قادرة علىٰ العمل، يدان قادران علىٰ ذلك، وعشرة أيادي أفضل.
- النحل مملكة متعاونة، لذا عمله عظيم.
- التعاون هو أن ترفع يد أخاك أن احتاج، وتمسك بيده لتمنعه من السقوط.
- كلما وسعت الدائرة كلما كان العمل أيسر وأكثر اتقان.
- بفضل التعاون أرست أمم صروحا من المد فوق القمم

فلم يبن مجد علىٰ فرقة ولن يرتفع باختلاف علم

معا للمعالي يدا باليد نشيد البناء بكل الهمم

فمبدأ التعاون من ديننا به الله في محكمات حكم

٩- الأدب وهو أقصي ما يصل إليه الشخص بعد تهذيب نفسه، والأدب خلق مطلوب لمجتمع راقي، فربما أكون طيباً خيراً محباً ولكنىٰ لست علىٰ حالة من الادب والرقي في التعامل واحترام محدثي ففي هذا انا سقطت اخلاقياً، فالأدب مكمل لباقي الأخلاق، أن أردت أن تصل كلامك لشخص عليك أن تتحلي بالأدب، أن اردت أن تخطب في الناس أو تكتب كتاباً

تحلي بالأدب، أن اردت مخاطبة من هو أكبر منك أو شخص لا تعرفه عليك بالأدب، وان اردت اسرة مستقيمة اسسها علىٰ الادب، وايضاً أن خاطبت أمرأه أو طفل أستعمل معهم الادب، وهو يقابل التهذيب وهذا هو علم الحكماء، لأن الحكيم قد أدرك التهذيب والأدب، والادب يظهر صرة المجتمع، فالمجتمع المتحلي بالأدب هو مجتمع راقي والمجتمع المنحط في الادب مجتمع جاهل لا اخلاقي، ومن الاقوال عن الادب:

- كل كلام يخرج وعليه كسوة القلب الذي منه خرج.
- عندما لا تشعر بمن حولك ممن جرحتهم ولا تهتم بأحاسيسهم ولا تبالي بمشاعرهم، اعلم أنك فاقد بعض الأدب والأخلاق والاحترام.
- تعجبني الأرواح الراقية التي تحترم ذاتها وتحترم الغير، تطلب بأدب تشكر بذوق وتعتذر بصدق.
- أحتقر الناس الذين لا دموع لهم، فهم إما جبابرة أو منافقون، وفي الحالتين هم لا يستحقون الاحترام.
- كلنا ندرك جيداً أن الاحترام حاجه نفسيه للإنسان (الطبيعي) كحاجته للهواء والماء والطعام.
- أحيانا تحتاج إلىٰ تجاهل الحياة، تجاهل أحداث، تجاهل أشخاص، تجاهل أفعال، تجاهل أقوال، عود نفسك علىٰ التجاهل الذكي فليس كل أمر يستحق وقوفك.

- يمثل الأدب قيمة كبيرة عند الانسان، فالإنسان المؤدب هو الذي حسنت تربيته، واستطاع أن يكون هو المثل الأعلىٰ للجميع، حتىٰ ضرب به المثل.
- إياك أن تتمنىٰ أن تكون مثل قمة الجبل، فنحن نرىٰ قمة الجبل صغيرة من بعيد، وهي ترانا كذلك صغار من الاعلىٰ.
- قد يكسب الانسان قلوب الآخرين بدون أن ينطق بكلمة واحدة، فأخلاقه تنطق بالصفات الكريمة والأخلاق الحميدة.
- التربية الخُلقية أهم للإنسان من خُبزه وثوبه.
- بدون الأخلاق والإدآب العالية لن تكون ذو شأن عظيم.
- يجب أن تتمتع ب الأخلاق لأن تكون من عظماء الحياة.
- لكي تجعل من أمامك يحترمك يجب أن تقدم له كامل الاحترام.
- يحترم القوم الرجل بصحبة طيبة لأن الصحبة الخبيثة تجلب الصفات الخبيثة.
- من تمام المروءة أن تنسىٰ الحق لك وتذكر الحق عليك، وتستكبر الإساءة منك وتستصغرها من غيرك
- سكت المؤدب من أدبه فظن قليل الأدب أنه هو من أسكته.

- الأدب لا يباع ولا يشترىٰ بل هو طابع في قلب كل من تربىٰ فليس الفقير من فقد الذهب وإنما الفقير من فقد الأخلاق والأدب.

١٠- الصدق أو حب الحقيقة والصراحة، أن تكون صادق في الوعد والحدث والقول واليقين، وان تكون صادق أن جعلوك معلماً، وان تكون محباً للحقيقة اي لا تميل إلىٰ ما يريحك فقط فتصبح كاذباً علىٰ نفسك ثم تتحول للأخرين، والصدق سمو وعدمه هو خطية تعتبر من الشرور والآثام الكبرىٰ وهىٰ الكذب، بالرغم أن اصحاب الفلسفات المادية لا يجدون غضاضة في خطية الكذب لأنهم لا يؤمنون بأحكام الرب فهم لا يهتمون إلا بما سيضر المجتمع، وبالرغم من احياناً الصدق الواضح يضر صاحبه أو يضر شخص أخر وأحياناً نري فائدة للكذب أو اضطرار، ولكن الصدق يبقي من الفضائل الحميدة لسبب أن من تعود علىٰ الكذب سيؤدىٰ بأسلوبه هذا إلىٰ أضرار أجلا أم عاجلاً لكن أن يكون الإنسان معروف عنه الصدق حتىٰ ولو السيف علىٰ رقبته فهو شخص مثالي وممدوح إذ أن الصادق لا يخاف والكاذب يخاف أن يقول الحقيقة لئلا يؤذي فالخوف ايضاً صفة مذمومة، وقالوا عن الصدق والصراحة:

- كن صادقاً، وتذكر دائماً أن أول الصدق أن تكون صادقاً مع الله سبحانه.

- من أفضل البر: الجود في العسر، والصدق في الغضب، والعفو عند المقدرة.
- ليس من أغراك بالعسل حبيبا بل من نصحك بالصدق عزيزا.
- ليس من الضروري أن يكون كلامي مقبول، من الضروري أن يكون صادقا.
- والمرء ليس بصادق في قوله *** حتىٰ يؤيد قوله بفعال.
- إن حضارة الإنسان وتاريخه ومستقبله رهن كلمة صدق وصحيفة صدق وشعار صدق، فبالحق نعيش، وليس بالخبز وحده أبداً.
- أحيانـًا يكون الصدق مؤلم ولكن عواقبه أفضل من مكاسب الكذب.
- إن الصبر لله غناء، والصبر بالله بقاء، والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء.
- كثير من الناس يطالبك أن تقول الحقيقة لكن القليل منهم الذي يقبل منك الصدق.
- الصدق المؤقت لون من الوان الكذب هو صدق في لحظة زمنية ما وهو كذب في لحظة زمنية اخرىٰ.
- الناس ثلاثة أصناف بتعاملهم مع الحق، فصنف يكرهونه لأنهم أهل الباطل، وصنف يحبونه بشرط أن لا يتقاطع مع

مصـالحهم الشخصـية وهـؤلاء هـم المنـافقون، وصـنف يحبون الحق لأنهم أهله الثابتون عليه ولا يعلـو عليـه شـيء في نفوسهم وسلوكهم.

- الصدق بالنسبة للجزء الأكبر من البشر هـو أقـل ربحيـة مـن خيانة الأمانة.
- من كان في باطنه نوريا كان في التصديق بما أنزل بكريـا آمـن وصدق.
- إن حضارة الإنسان وتاريخه ومستقبله، رهـن كلمـة صـدق وصـحيفة صـدق وشـعار صـدق، فبـالحق نعـيش، ولـيس بالخبز وحده أبدا.
- علم بغير أمانـة شـر مـن الجهـل، وذكـاء لا يصـاحبه صـدق اللهجة نكبة علىٰ العقل.
- ازرع الصدق والرصانة تحصد الثقة والأمانة.
- من ذا يقول الصدق كي نرهـف الأسـماع، فضـجة المـذياع تخفت صوت الحق.
- الصادق من يصدق في أفعاله صِدقه في أقواله.

١١- الوفـاء، وهنـاك الوفـاء بالكلمـة والوفـاء للحبيـب والوفـاء لشخص مـا وهـو الإخـلاص، ولنـدرة وجـوده فـإن مـن كـان وفيـًا لأحـد أو لفكـرة يضـرب بـه المثـل، فـلان كـان وفيـًا، فهـي درجـة اخلاقيـة قريبـة مـن القداسـة وليسـت درجـة اخلاقيـة يملكهـا كـل

الناس، مثل وفاء الزوجة لزوجها حتىٰ بعد موته فيقولون أنظروا كم هو وفاء تلك المرأة، وكلما زاد الوفاء في المجتمع كان مقياس علىٰ الخلق الكريم الذي يتمتع به هذا المجتمع، وقالوا:

- شعب لا يعرف الوفاء شعب لا يعرف التقدم.
- المدينة العظمىٰ هي التي يسود فيها العلم، والحرية، والإخاء، والوفاء.
- عندما يخونك أحد من الناس، قف رافعًا رأسك ولا تنحني لأنك أنت من فزت بالوفاء.
- أما أنا فأعيش وحدي في السماء، فيها الوفاء والأرض تفتقد الوفاء، ما أجمل الأيام في دنيا السحاب لا غدر فيها لا خداع.
- أجمل ما يمكن أن تهديه في حياتك هو العفو عن عدوك، والصبر علىٰ خصمك، والقدوة الحسنة لطفلك، والإحسان لوالديك، والاحترام لنفسك، والأفضل علىٰ الإطلاق هو الإخلاص لكل هذا.
- إذا خانك شخص مرة فهو ذنبه، ولكن أن خانك للمرة الثانية فهو ذنبك أنت، فمن اتكل علىٰ زاد غيره طال جوعه.
- ثلاثة أشياء تسقط قيمة المرأة: حب المال والأنانية وحب السيطرة، وثلاثة ترفعها: التضحية والوفاء والفضيلة.

- أمهل الوعد وعجل بالوفاء
- سئل أحد العرب، بأي شيء يعرف وفاء الرجل دون تجربه واختبار، قال: بحنينه إلىٰ أوطانه وتلهفه علىٰ ما مضىٰ من زمانه
- لا يقاس الوفاء بما تراه أمام عينك بل بما يحدث وراء ظهرك.
- لو يذكر الزيتون غارسهُ لصار الزيت دمعاً،
- عكس الناس، كان يريد أن يختبر بها الإخلاص، أن يجرب معها متعة الوفاء عن جوع، أن يربي حباً وسط ألغام الحواس.
- الوفاء من شيم الكرام والغدر من صفات اللئام.
- لا تصاحب ثلاثة متكبر، جاهل، خائن، وأعطي الناس ثلاثة المحبة، الوفاء، الإخلاص كم تمنيناكِ فلما صرتِ لنا صرتِ لغيرنا، ثم أنتِ كما أنتِ لا وفاء فيك لأحد.
- كم كانت درجاتك في امتحان الوفاء الأول مزرية، وكم تعاقبت بعدها الانحدارات، وكم تضخم العار !
- لا ترم حجرا في البئر التي شربت منها.
- إن من علامة وفاء المرء ودوام عهده، حنينه إلىٰ إخوانه، وشوقه إلىٰ أوطانه، وبكاؤه علىٰ ما مضىٰ من زمانه، وأن من علامة الرشد أن تكون النفوس إلىٰ مولدها مشتاقة،

وإلىٰ مسقط رأسها تواقة، وللألف والعادة قطع الرجل نفسه لصلة وطنه.

١٢- الشجاعة وليست هي المخاطرة ولكن هي التغلب علىٰ الخوف، والإنسان إذا تغلب علىٰ مخاوفه يستطيع أن يقدم الكثير من الاعمال الصالحة، إذا فالشجاعة صفة وخلق، والشجاعة العنترية ليست هي المقصودة بل ما يقصد منها كخلق أنك تستطيع أن تكون رجلاً حازما، رجل مواقف، متحمل للمسئولية بلا تخوف من اي شيء أو إحساس بالعجز، فهنا تتملك منك الشجاعة. وقالوا عن الشجاعة:

- الشجاعة ليست خيار للمرء، يكون شجاع أو يموت.
- كثيراً ما يتملكنا شعور بالخوف من أشياء أو مواقف معينة، فلا يمكن ازالة هذا الخوف الا بالخوف من الله سبحانه والاتكال عليه
- ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة: الشجاع في الحرب والكريم في الحاجة والحليم عند الغضب،
- يبدو الأسد في القفص أكثر ألفة لأنه في القفص يكون في مأمن من الناس
- وما فائدة الحياة، إذا لم يكُن لدينا الشجاعة لتجربة كُل شيء.

- إذا كان صاحب البيت جبانـًا واللص جريئـًا فالبيـت ضـائع لا محالة
- إذا لـم تغامر من أجل شيء تحبه، فاصمت إذا خسرته.
- بعد عشرين عاما من الآن، ستشعر بالإحباط تجـاه الأشـياء التي لـم تقم بفعلها أكثر من الأشياء التي قمـت بفعلهـا، لـذا قـم بأخـذ المبـادرة واتـرك الخـوف مـن فعـل مـا ترغـب بـه لتحقق ما تحلم به وتكون فخورا بذلك في المستقبل.
- إن الجبان يموت آلاف المـرات، ولكـن الشـجاع لا يـذوق الموت الا مرة واحدة.
- لقد ابتكرت طريقة عجيبة للتعامل مـع الخـوف، فحتىٰ لـو لـم أكـن شـجاعـًا، فـان تعرضـي للخطـر باسـتمرار جعلنـي اعتاد عليه حتىٰ زال الخوف من تفكيري نهائيا.
- كلمـا كـبرت العوائـق، كلمـا عظـم المجـد المترتـب علـىٰ تجاوزها.
- العظماء يعتبرون المتاعب الكبيرة أمور هينة، وينظرون إلىٰ الأمور الهينة علىٰ أنها لا شيء علىٰ الإطلاق.
- المستحيل هو لا شيء.
- النقص في الشجاعة يترجم إلىٰ زيادة في الدهاء.
- الشجاعة الوحيدة التي تهم هي تلك الشجاعة التـي تنقلـك من حال إلىٰ حال أخرىٰ.

- الحياة هي الشجاعة المتجددة ولا يبقىٰ للجبان الا موته المتكرر.
- ليست الشجاعة هي عدم الإحساس بالخوف، الشجاعة الحقيقية هي أن تشعر الخوف، ولكن لا يمنعك ذلك من المضي قُدما في طريقك والقيام بعملك علىٰ أية حال.
- لا غنىٰ عن شيئين في حياتك، الأول: العقل الذي يحتفظ حتىٰ في أحلك ساعة ببعض من بصيص الضوء الداخلي الخافت الذي يوصلك إلىٰ الهدف، وثانيـًا: الشجاعة لإتباع هذا الضوء الخافت أينما كان.
- يجبُ أن يكون لدينا الشجاعة لنكون ما نحنُ عليه حقـًا بدون زيف، حتىٰ لو كُنا سنبدو أشخاص غريبة أو مُرعبة للآخرين.

١٣- خلاصة أخلاق، ومن حيث التصنيف فهناك أخلاق تسمىٰ ب الأخلاق الثانوية وكذا الي لا تضر المجتمع بل يمكن أن تضر صاحبها اذا لم يزيلها من شخصيته وعن هذه الأخلاق جمعت لكم هذه المقولات:

- إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.
- لا يمكن للإنسان أن يصبح عالمـًا قبل أن يكون إنسانـًا.
- إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل.

- الكريم يظلم من فوقه واللئيم يظلم من تحته.
- أملك الناس لنفسه من كتم سره.
- تاج المروءة التواضع.
- شكرت جميل صنعكم بدمعي ودمع العين مقياس الشعور.
- عندما تكون في روما تصرف كما يتصرف الرومان.
- المروءات أربع: العفاف، وإصلاح الحال، وحفظ الإخوان، وإعانة الجيران.
- الخلوق صدوق، والعنيف ضعيف، والأصيل نبيل والحليم حكيم، والشريف عفيف.
- العشرة السيئة تفسد الأخلاق الحسنة.
- من لانت كلمته وجبت محبته. أطهر الناس أعراقـًا أحسنهم أخلاقـًا.
- تواضع عن رفعة، وزهد عن حكمه، وأنصف عن قوّة، واعفُ عن قدرة.
- العفو يُصلح الكريم ويُفسد اللئيم.
- عش ب الأخلاق مهما ساءت أخلاق من حولك.
- اجتنب مصاحبة الكذاب فإن اضطررت إليه فلا تُصَدِّقْهُ.
- الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

- فليست الرحمة لونا من الشفقة العارضة، وإنما هي نبع للرقة الدائمة ودماثة الأخلاق وشرف السيرة
- الغنىٰ في يد اللئيم قبيح قدر قبح الكريم في الإملاق.
- القدوة الحسنة خير من النصيحة.
- الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع وأوراق وجذوع وجذور، هي الأخلاق الفاضلة بمراتبها.
- الخلوق من اذا مدحته خجل واذا هجوته سكت
- الحياء من طبائع المسلم فلا تستغنىٰ.
- أدي الأمانة وأكرم الناس فالخلق الحسن تاج يزين صاحبه.
- الإنسان الذي يعرف كيف يهذب نفسه، لا يمكن أن يستحقره احد.
- العفو عند المقدرة قيمة كبيرة، لا يقدر عليها إلا قليل.
- لا تستعن بظالم علىٰ ظالم، حتىٰ لا تكون فريسة للاثنين.
- لا تضع سلمك علىٰ الحائط الخاطئ، حتىٰ لا يكون علىٰ حساب كرامتك أو أهلك أو دينك.
- إن لم تكن رفيقاً فتصنع الرفق حتىٰ يستقر في قلبك وكيانك، واعلم أن من يحرم الرفق يحرم الخير، فإذا حرمت خيراً ما، فتذكر أنه ربما يكون بسبب فظاظتك يوماً ما مع خلق الله.

- ثلاث تثبت لك الود في صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه.
- هناك حقيقة يجب أن نعترف بها، وهي أن الأشرار دائمًا يتحدون ويقفون صفًا واحداً رغم ما في نفوسهم من كراهية لبعضهم البعض، أما دعاة الخير فهم متفرقون، وهذا سر ضعفهم.
- بعض الناس انتقامك منهم، أن تعلمهم درس في الأخلاق وأظنني فعلت ذلك، فهنيئا لهم انتقامي.
- إن النفاق هو زيف أخلاقي يبرهن علىٰ قيمة الأخلاق الصحيحة، مثلما تفعل النقود المزيفة ذات القيمة المؤقتة بالنسبة للنقود القانونية ذات القيمة الدائمة. النفاق برهان علىٰ أن كل إنسان يتوقع أو يتطلب سلوكا أخلاقيا من جميع الناس الآخرين.
- الانتقام هو نوع من العدالة، وبالانتقام عرفت العدالة.
- مكارم الأخلاق عشر: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم.
- الإنسان البطيء في إعطاء الوعود، أكثر مصداقية في الحفاظ عليها.

- ما أقرب ظن السوء في الآخرين، وما أغلبه علىٰ ظن الخير، فإذا وطنت نفسك علىٰ شيء اعتادت عليه، وإذا ظننت سوءاً في الآخرين فتذكر: أن بعض الظن إثم.
- كن شريفًا أمينًا، لا لأنّ الناس يستحقون الشرف، والأمانة، بل لأنّك أنت لا تستحق الضعة،(الانحطاطُ) والخيانة.
- إذا استشارك عدوك، فقدم له النصيحة، لأنّه بالاستشارة قد خرج من معاداتك إلىٰ موالاتك.
- الأخلاق أولاً ثم العلم، والكفاءة، هذا هو مفتاح السعادة للأفراد، والحكومات، والجماهير.
- فلم أجدِ الأخلاق إلا تخلقًا، ولم أجدِ الأفضالَ إلا تَفَضُّلا.
- لا شيء في العالم يفسد الأخلاق كالمال.
- الجاهل يؤكّد، والعالم يشك، والعاقل يتروّىٰ.
- ترياق الخمسون عدواً، صديق واحد.
- من لم يعد صديقك؛ لم يكن صديقك أبداً.
- الرجل المثالي؛ يشعر بالمتعة في إسداء المعروف للآخرين.
- ما دام أن السعادة علىٰ حسب تعريفنا: هي فاعلية ما للنفس مسيرة بالفضيلة الكاملة، يجب علينا أن ندرس الفضيلة،

وسيكون هذا وسيلة عاجلة لتجديد فهم السعادة ذاتها أيضًا.

- الإنسان حينما يطبّق القانون؛ يسمو على الحيوان، وحينما يبتعد عن القانون والعدالة؛ ينحط، ويصبح أقل من الحيوان.
- «الرجال الحُكماء يتكلّمون لأنهم يملكون شيئًا لقوله، أمّا الحمقى فيتكلّمون لأنّ عليهم قول شيء وحسب!»
- سلح عقلك بالعلم خير من أن تزين جسدك بالجواهر.
- ما يبحث عنه الرجل النبيل موجود في نفسه، وما يبحث عنه الرجل الدنيء موجود عند الآخرين.
- علمتني الفلسفة أن أفعل دون أوامر ما يفعله الآخرون خوفا من القانون.
- سيد القوم خادمهم. شكرت جميل صنعكم بدمعي ودمع العين مقياس الشعور.
- لا تمازح الشريف فيحنق عليك ولا الدنيء فيتجرأ عليك.
- لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم.
- يكون الرجل مذنبًا في نظر القانون عندما ينتهك حقوق الآخرين، أما في الأخلاق فيكون مذنبًا إذا فكر فقط في عمل ذلك.
- أعمل ربما يصبح مبدأ عملك قانون آمنًا للعالم بأسره.

- إذا أسديت جميلاً إلىٰ إنسان فحذار أن تذكره، وإن أسدىٰ إنسان إليك جميلاً فحذار أن تنساه.
- إذا أنعم الله عليك بموهبة لست تراها في إخوانك فلا تفسدها بالاستطالة عليهم بينك وبين نفسك.
- إن لله سيوفًا تقطع رقاب الظالمين منها: أخطاؤهم، وحماقاتهم.
- كلما عملت أكثر، عشت أكثر.
- خير الفضائل الصمت؛ لأنك بواسطته تستمع للآخرين فتعرف عيوبهم وتخفي عيوبك.
- إعجاب الإنسان بنفسه دليل علىٰ صغر عقله.
- ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد المودة، والعداء بعد الإخاء.
- تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم.
- كل انسان مذنب ولكنه لا يدرىٰ. والمذنب من يعتقد أنه برئ.
- لسنَا ننشد عالما لا يُقتل فيه أحد بل عالمـًا لا يمكن فيهِ تبرير القتل.

- اللباقة، طريقة للحصول علىٰ إجابة بنعم دون طرح سؤال واضح.
- إن الأنانيـة تثيـر قـدرًا مـن الرعـب؛ بحيـث إننـا اخترعنـا السياسـة لإخفائهـا، ولكنهـا تخـترق كـل النقـب وتفضـح نفسها لدىٰ كل مصادف.
- السوقيَّة نتاج الإرادة حين يغيب الذكاء.
- التضحية باللذة في سبيل تجنب الألم مكسب واضح.
- الشرف لا يجب أن يُكتسب، بل يجب فقط ألا يُفقد.
- ينتج العناد عن محاولة الإرادة إقحام نفسها محل العقل.
- الكبرياء الوطنيـة، مثلهـا مثـل الأشـكال الأخـرىٰ للكبريـاء، بإمكانها أن تكون بديلا لاحترام الذات.
- السعادة فضيلة، وليست مكافأة لها.
- الفضيلة الحقيقية هي الحياة تحت توجيه المنطق.
- الفضـيلة هـي الدَّرجـة الرفيعـة في حسـن الخلـق وقـوة في النفس، تمكنها من انتصار علىٰ كل نوازع الشر وإغراءاته.
- طريـق الفضـيلة طويـل ومتعـرج ولكـن مـا أن نبـدأ بسـلوكه حتىٰ يصبح أكثر سهولة علىٰ الرغم من صعوبته.
- الفضيلة هي أقصر طريق إلىٰ المجد.
- أعظم لذة أعرفها هـي أن أعمـل عمـل الخير خفيـة ثـم أراه يظهر صدفة.

- النفوس الكبيرة وحدها تعرف كيف تسامح.
- اذا قابلت الاساءة بالإساءة، فمتىٰ تنتهي الاساءة.
- أشرف الثأر العفو.
- الثبات، والتحمل، والبساطة، والتواضع اقرب إلىٰ الفضيلة.
- الإكراه علىٰ الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل، كما أن الإكراه علىٰ الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن، فالحرية هي أساس الفضيلة.
- وماذا تكون العفة والأمانة والصدق والوفاء والبر والإحسان وغيرها، إذا كان فيمن انقطع في صحراء أو علىٰ رأس جبل؟

  أيزعم أحد أن الصدق فضيلة في إنسان ليس حوله إلا عشرة أحجار؟
- جرب الا تشمت ولاتكره ولاتحقد ولاتحسد ولاتيأس ولاتتشاءم، وسوف تلمس بنفسك النتيجة المذهلة، سوف ترىٰ أنك يمكن أن تشفىٰ من أمراضك بالفعل، انها تجربة شاقة سوف تحتاج منك إلىٰ مجاهدات مستمرة ودائبة مع النفس ربما لمدىٰ سنين وسنين
- الفضيلة: حالة حرب، ولكي نتعايش معها علينا أن نكون دائماً في معركة مع أنفسنا،

- نحن بحاجة كبيرة لنشر ثقافة الاعتذار في مجتمعنا، فحين نُربي أبناءنا ونُعودهم علىٰ كلمات ومفردات التواضع والاعتذار ومن ثم نعلمهم كيفية الاعتذار فهذا بلا شك يستوجب منا الإشادة بتصرف الطفل أمام الآخرين وتعزيز تلك الفضيلة فيه.
- يجب أن يكون المرء أحمقاً وقاسياً لكي يعتقد أن الحق ليس فضيلة إذا لم يكن في صفه.
- العلم دون فضيلة سيف الشيطان.
- من العسير علىٰ نفسي أن أتصور الجمال غير مقترن بالفضيلة، الجمال الحق والفضيلة الحقة شيء واحد
- أول فضيلة عرفتها هي أمي، أدركت بعدها الفضائل الأخرىٰ.
- العزلة في زمن الفتنة، فضيلة وليست سلبية
- الكتابة لا تعرف المستحيل، وهذه فضيلة تشترك فيها مع الأحلام، بينما الواقع فظ وعنيد.
- متىٰ فاض الألم، تداعت الفضيلة.
- أيها السيد العزيز ليس الفقر رذيلة ولا الإدمان علىٰ السكر فضيلة، ولكن البؤس رذيلة البؤس رذيلة!
- كيف تطالب أحداً بالتزام فضيلة وأنت الذي لا تؤمن إلا بنزواتك !

- حياء المرأة أعظم من جمالها.
- إنّ الصدر المملوء بالشرف والفضيلة، لا يحتاج إلىٰ وسام يتلألأ فوقه.
- أسرع، وعجل في الخير، وتريث، وتأنّ في ما يلحق ضرراً بآخرين، ولا تتردد في إنفاذ الحق إلىٰ ميدانه ولطم الباطل حيثما ذر قرنه.
- لا تساوي بين الجبناء والشجعان، ولا بين المخلصين ومن لم يستقروا بعد علىٰ موقف واضح، ولا بين النزهاء والمدنسين، ولا بين الصادقين والكاذبين، ولا بين القمم ومجرّد مثابات دالة فوق أرض مستوية.
- ان حكمت، فأحكم بالعدل، ولا تدخل الهوىٰ في ما يثقل حكماً، أو يدع مجرماً لا يرجىٰ إصلاحه يفلت من عقاب.
- اجعل الرحمة تاج العدالة، والحزم بديلاً عن التردد، والتأني بديلا» عن التسرع، والحكمة بديلاً عن التهور، والعقل بديلاً عن الحماقة.
- المبادئ ليست سبيل الحياة لترتقي حسب، وانما هي تاجها، فلا تهبط بالمبادىء إلىٰ مستوىٰ وسائل متدنية، ولا تدعها معلقة من غير سند يعطيها الحيوية، وقدرة التجديد بصلتها بالحياة.

- ليس من الضروري أن تطفئ ضوء غيرك ليتوهج ضوئك.
- احتفظ لكهولتك من ذكرى شبابك بحياة جميلة طيبة.
- ليس ثمة أسرع ولا أقبح من النميمة.
- وظيفة الحكمة هي التمييز بين الخير والشر.
- الإسراف لجة بلا قرار.
- الانسان المنحط سمته الاستهانة بالنفس البشرية.
- الحرية هي المشاركة في السلطة.
- الحياة السعيدة تكون في هدوء البال.
- الكاذب لا يصدق ولو قال صدقاً.
- الطريق المهمل مليئة بالأشواك.
- الأموال اللانهائية هي أوتار الحرب.

****

من القصص الأخلاقية

قصة (الفلاح الفصيح) من الأدب الفرعوني:

بطل القصة اسمه (خنوم أنوب) فلاح من وادئ النطرون. قال لزوجته (ميرئ) أنه سيذهب للمدينة ليحضر الطعام للأطفال. وأخذ ستة مكاييل من القمح ليستبدلهم (المقايضة) بسلع أخرئ. وترك عشرين مكيالا لزوجته وأطفاله. وأخذ معه بعض الطعام والبيرة (حِنكتْ) وهئ المشروب الشعبي في مصر القديمة. ولما اندهشتْ الزوجة قال لأنّ السفر قد يطول. وحمل علئ حماره بعض النباتات والملح. وعندما وصل لمدينة أطفيح اعترضه (تحوت- نخت) الذئ طمع في الزكائب الي يحملها الحمار. ولكئ يحتال علئ الفلاح وضع قطعة من النسيج وفرشها علئ الطريق. وقال للفلاح ((أتريد أن تطأ ملابسي؟)) فقال الفلاح: سأفعل ما تريد وابتعد عنه. ولكن تحوت نخت قال له: أتريد أن تجعل قمحي ممرًا؟ وظلّ يتربص به ويستفزه. وأخيرًا قال له: سآخذ حمارك أيها الفلاح لأنه يأكل قمحي. أخذ الفلاح يرجوه أن يُعيد إليه حماره ومتاعه. رفض (تحوت- نخت) وأصر علئ موقفه، فذهب الفلاح خنوم أنوب إلئ مدير بيت الحاكم وبدأ يحكئ له شكواه.

الشكوى الأولى:

يا مدير البيت العظيم إذا ذهبتَ إلىٰ بحر العدل، فإنّ الهواء لن يُمزق قلاعك. ولن يُحطم قاربك. دعني أجعل اسمك في هذه الأرض يتفق مع قانون العدل، فتكون حاكمًا مع الخير. وليس مع الشر. وتكون شريفًا بعيدًا عن الدنايا. إني أتكلم فهل لك أن تسمع؟ أقم العدل.

وبعد أن استمع المدير إلىٰ ملخص الشكوىٰ ذهب إلىٰ الحاكم وقال له ((إنّ أحد الفلاحين سُرق متاعه. وقد حضر ليتظلم. وفىٰ الحق أنه فصيح)) فقال الحاكم ((طالما أنه فصيح فاجعله يمكث لدينا مدة من الزمن لنسمعه. وعليك أن تمد زوجته وأطفاله بالطعام وكل ما يلزمهم. وقدّم الطعام والحِنكت (البيرة) إلىٰ الفلاح وعاملوه بكل رفق. ثم طلبه ليستمع لشكواه.

الشكوى الثانية:

قال الفلاح ((أنت مثقال ميزان الأرض. وخيط الميزان. لا تتذبذب. أن السيد العظيم يأخذ حقه فقط، ولاينهب حق غيره. أليس من الخطأ أن يميل الميزان وتنحرف ثقالته؟ ماذا يحدث لو أن كيّال الغلال عمل لمصلحة نفسه؟ لذلك يجب أن يُحكم عليه بمقتضىٰ القانون. فمن الذىٰ يكبح الباطل؟ ومن الذىٰ عليه القضاء علىٰ الفقر؟ والحكمة تقول: عامل الناس بما تحب أن تُعامل به. أن السرقة عمل مشين. وأنت قائد قارب الحكم والدفة في يدك. ومع ذلك فإنك لا

تردع اللصوص وتتركهم يعتدون علىٰ الفلاحين. أن كيّال الغلال يعمل لمصلحة نفسه، ولذلك يجب أن يُقدّم حسابه تامًا، دون نقص أوتلاعب في الكشوف. ويجب عليك أن تحكم بالقانون، عند حدوث السرقة. وكيف تسمح بأحكام الباطل؟ وكيف ستقضىٰ علىٰ الفقر، وأنت تترك اللصوص ينهبون مخازن الغلال؟ أن العمل الطيب يعيش طويلا. والحكمة تقول: عامل الناس بما تحب أن تُعامل به.

ينهض الأمير. ويتمشىٰ في المكان. ويستمع للفلاح بكل انتباه، بينما واصل الفلاح حديثه فقال: تأمل: إنك قوىٰ وشديد البأس. ومشهور عنك صفة الرحمة، فكيف تترك الرجل الفقير لينهشه الحزن؟ أن الحزن يقضىٰ علىٰ الأقوياء. وليس علىٰ الضعفاء (فقط) اجعل لسانك يتجه إلىٰ الحق. ولا تضل. أن لسان الإنسان قد يضره (هذا التعبير الذىٰ قاله الفلاح منذ آلاف السنين، تعاقب مع الأجيال التالية من شعبنا، وصارفىٰ العصر الحديث: لسانك حصانك، أن صنته صانك، وإنْ هنته هانك)

الشكوى الثالثة:

اكبح جماح السارق. دافع عن الفقير. لا تقف ضد الشاكي. احذر من غضب أوزير(إشارة إلىٰ الحساب في الآخرة) وقّع العقاب علىٰ من يستحق العقاب. هل يُظهر (توت) تساهلا؟ (إشارة إلىٰ إله الحكمة) اجعل نفسك معادلا للميزان واللسان.

لا ترد على الخير بالشر. ما أكثر الكلام من عشب خبيث. أن أصدق وزن للبلاد هو إقامة العدل. لا تكذب وأنت عظيم وأنت الميزان. إنك على مستوى واحد من الميزان، فإذا انحرف انحرفتَ أيضًا. امسك حبل الدفة وأوقف كل مغتصب، والعظيم لا يكون عظيمًا إذا تملكه الجشع. لسانك هو ثقالة الميزان. وقلبك هوما يوزن به. فإذا سترتَ المجرم فمن يكبح الشر؟

وعندما بدأ في التطاول وإهانة الحاكم ضربه مدير القصر. ولكن الأمير أوقفه، وطلب من الفلاح مواصلة حديثه فقال للحاكم: إنك مثل التونى الذى يعبر بالناس في سفينته. ومثل رئيس الخبازين لا يسمح بالغش في الخبز. ولكن عندما يسود الظلم فأنت مثل سفينة لا ربان لها، وبلد لا عميد له. ومثل عصابة لا مرشد لها. إنك حاكم يسرق وعميد قرية يقبل الرشوة. ومثل المفتش الفاشل الذى كان يجب عليه أن يقطع دابر التخريب. ولكنه أصبح مثالا للمجرم.

الشكوى الرابعة:

في اليوم التالي قال الفلاح للحاكم: إنك إنسان مُنغمس في ملذاته. واعلم أنه لا يوجد إنسان مُتسرّع في كلامه يخلو من الخطأ والتعثر. والإنسان خفيف القلب يصعب عليه أن يكبح أهواءه. كنْ صبورًا حتى تُحقق العدل، ولا يوجد إنسان طائش يتفوّق في عمله. علّم قلبك الحرص على التأمل. لاتكن قاسيًا فيحيق بك الأذى. من يأكل يتذوّق ومن يُخاطب يُجيب. تأمل أيها الأحمق فإنك قد ضربتَ.

وتأمل أيها المغفل فإنك قد استجوبتَ. وأنت يا مانح الماء فقد دخلتَ فيه فاحذر أن يغمرك الماء، ولا تجعل قاربك يرتطم. وأنت يا معطىٰ الحياة لا تسلب الحياة من أحد ولا تتسبّب في خراب أحد. والآن هل سأقضىٰ اليوم كله في شكواي الرابعة؟

الشكوى الخامسة:

قال الفلاح للحاكم: لا تحرم أي إنسان (رقيق الحال) من أملاكه. فإنّ أملاك الرجل الفقير بمثابة الحياة بالنسبة إليه. أملاكه مثل تنفسه. ومن يغتصبها يجب عليك أن تكتم أنفه. أن منصبك يُحتم عليك أن تسمع الشكاوىٰ. وتفصل بين المُتخاصمين. وكبْح جماح اللص. ولكن تأمل: فإنّ ما تفعله هو أنك تقف مع اللص. والإنسان يضع ثقته فيك. ولكنك أصبحتَ مُعتديًا. لقد نصبتَ سدًا للفقير، فاحترس)) تركه الحاكم ليستمع للمزيد من بلاغته.

الشكوى السادسة:

خاطب الفلاح الحاكم قائلا: أنت أيها المدير العظيم اعلم أن المحاكمة الحقة ضد الباطل. وتعلو بالصدق. وتُشجّع الحسنة وتقضىٰ علىٰ السيئة. كالشبع عندما يقضىٰ علىٰ الجوع. والكساء يقضىٰ علىٰ العرىٰ. وكالسماء تصف وبعد العاصفة. وتدفئ كل من شعر بالبرد. وكالنار تسوىٰ النيئ. وكالماء يطفئ الظمأ. انظرإنّ المُغتصب يحط من العدالة. أن حزني في قلبي. والإنسان لا يعرف ما في قلب غيره. لاتكن خاملا بل اهتم بشكواي.

وواصل حديثه فقال: أن مجداف القلوب في يدك. فإذا انقلب القارب فإنّ حمولته تتلف. وتضيع علىٰ رمال الشواطئ. إنك متعلم وماهر. ولكن ليس في النهب. أن مثلك مثل الإنسان الذىٰ كل أعماله ملتوية. والفاسد في الأرض لا يرىٰ الاعوجاج، ويرىٰ كل شيء مستقيمًا. والبستاني الذىٰ يروىٰ حقله بأعماله الخاطئة فإنّ مزرعته تنمو بالكذب. وعلىٰ ذلك يرىٰ المتاعب إلىٰ الأبد.

الشكوى السابعة:

في اليوم التالي قال الفلاح للحاكم: أيها المدير العظيم إنك مُعادل ل (تحوت) فيجب أن تقضىٰ دون أن تنحاز لجانب ضد جانب. وكنْ صبورًا حتىٰ يمكن للإنسان أن يستغيث بك لقضيته العادلة، ولا تجعل قلبي جموحًا فذلك لا يليق بك. والإنسان الحكيم هو من عنده (بُعد نظر) لا تفرح بما لم يحدث بعد. أن الذىٰ ينتهك حرمة القانون، لا يستطيع الإنسان الفقير أن يُقاومه إذا لم تُواجهه العدالة. أن جوفي وقلبي لمُفعمان. وقد طفح من جوفي تقرير حالتي. لقد كان صَدْعٌ في السد فتدفق منه الماء. وانفتح في الكلام. وعندئذ أعملتُ مجدافي لسبر أغوار نفسي. ونزحتُ مائي وروّحتُ عما في جوفي. وغسلتُ كتاني (ملابسي) والآن انتهىٰ خطابي. وانتهىٰ بؤسىٰ في حضرتك، فما الذىٰ تطلبه الآن؟ أن خمولك سيُضللك وشراهتك ستغشك. وعدم اكتراثك سيُولد لك الأعداء. ولكن هل يُمكن أن تجد فلاحًا مثلىٰ؟ وهل الشاكي يقف علىٰ بيت الخامل؟ علىٰ أنه لا يوجد

إنسان صامت قد أنطقته. ولا نائم قد أيقظته. ولا مكتئب أزلتَ حزنه. ولا إنسان فمه مغلق فتحته. ولا جاهل جعلته يعرف. والحكام وظيفتهم القضاء على كل سوء. وأرباب الخير أصحاب فن يصلون الرؤوس الي فُصلتْ عن أجسادها (صورة مجازية)

الشكوى الثامنة:

في اليوم التالي قال الفلاح للحاكم: أن الناس يتحملون السقوط بسبب الطمع. والإنسان الجشع عاجزا عن النجاح. ولكنه ينجح في الخيبة. إنك جشع وذلك لا ينسجم معك. إنك تسرق وذلك لا يُفيدك. أنت يا من يسمح للإنسان أن يُشرف على قضيته الحقة. ذلك لأنّ جوفك قد امتلأ. وفى بيتك ما يُقيم أودك. ومكيال القمح قد طفح. وإذا اهتز فإن الفائض منه يتبعثر على الأرض. أنت من يجب عليه أن يقبض على اللص. أن الحكام وظيفتهم أن يكبحوا الكذب. وليس الخوف منك هو الذى جعلني أشكو إليك. إنك لا تُبصر ما في قلبي. والإنسان الذى لا يتكلم ويُدافع عن حقه يتردّد في توبيخك. والذى يُطالب بحقوقه لايخاف. الحكام يعطونك ومع ذلك تغتصب، فهل أنت لص؟

أقم العدل لرب العدل. وإلهة العدل (ماعت) عدالتها موجودة. وأنت يا أيها القلم وأنت يا أيتها البردية، ويا أيتها الدواة ويا تحوت (رمز الكتابة) ابتعدوا عن عمل السوء. أن العدل سيكون إلى الأبد. ويذهب مع من يعمله إلى الجبانة. ويُدفن وتطويه الأرض. ولكن

ستظل ذكراه للخير. وهذا هو القانون في كلمة الآلهة. هو الميزان والميزان لا يجب أن يميل، هو لسان الميزان إذن، ولا يجب أن يحيد عن الحق. لا يجب أن يغش في الميزان. إنك لا تظهر الرحمة. إنك لا تعطني مكافأة علىٰ تلك الخطب الي تخرج من فم (رع) انطق بالعدل وأقم العدل فالعدل عظيم. لا يجوز وجود الظلم مع القانون.

الشكوى التاسعة:

وكانت هذه الشكوىٰ (والأدق كما يقول علماء المصريات) كانت آخر رسالة في (نقد الحكم) وفيها قال الفلاح للحاكم: أيها المدير العظيم أن لسان الناس ليس إلاّ لسان ميزانهم، هو الميزان الذىٰ يبحث عن نقائصهم. ويدل علىٰ طبيعتهم. وقّع العقاب علىٰ من يستحق العقاب. واعلم أنه لا شيء يُماثل استقامتك. أن الصدق ثروة الإنسان. والكذب يُضلل الإنسان. الكذب يُبعد الإنسان عن العبور بقاربه. ويجعله لا يقوم بأي تقدم. لاتكن ثقيلا يا من لستَ خفيفًا. لاتكن متحزبًا واستمع لقلبك. ولا تُداريٰ وجهك عن إنسان تعرفه. ولا تتعامىٰ عن إنسان رأيته. اترك هذا الخمول ولتكن حكمتك ((اعمل الخير لمن يعمله لك)) حكمة تُروىٰ علىٰ مسامع الناس، فيرجع الناس إليك. الخامل لا ذكرىٰ له. والأصم عن العدل لا رفيق له. تأمل: إني أشكو إليك وأنت لا تسمع شكواي، لذلك سأذهب وأشكوك لأنوبيس (أنوبيس أحد مساعدي أوزير في العالم السفلىٰ وتولىٰ عملية تحنيطه)

نهاية القصة:

بعد أن ألقىٰ الفلاح (خنوم أنوب) مرافعته التاسعة، أمر الحاكم بعودته ثانية. خاف الفلاح واعتقد أنه سيُعاقبه علىٰ النقد الذىٰ وجّهه إليه. فقال الفلاح إنني مثل الظمآن الذىٰ يقترب من الماء، والإنسان الذىٰ يقترب اللبن من فمه. إنني مثل الإنسان الذىٰ يقترب من الموت ولكنه يأتىٰ مُتباطئًا)) ولكن كانت المفاجأة عندما سمع الحاكم يقول له ((أيها الفلاح، جهّز نفسك علىٰ أن تعيش معي)) ولما اندهش الفلاح سمع الحاكم يقول له ((سيأتي كاتب ليسمع شكواك من جديد ويكتبها علىٰ أوراق البردىٰ. وأمرته أن يجعل كل شكوىٰ في بردية مستقلة)) ثمّ أمر بإرسالها إلىٰ ملك مصر(بنكاو- رع) الذىٰ ابتهج بعد قراءتها. وأمر بتدريسها للتلاميذ في المدارس (ترجم البردية من الهيروغليفي إلىٰ العربي عالم المصريات (سليم حسن) في (موسوعة مصر القديمة- ج١٨)

وجاء في آخر البردية أن الحاكم أمر بعقاب اللص بأنْ يؤول بيته ومزرعته إلىٰ الفلاح خنوم أنوب

من كتاب كليلة ودمنة نقرأ قصة (الأسد والثور) :

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف، وهو رأس البراهمة: اضرب لنا مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال، حتىٰ يحملهما علىٰ العداوة والبغضاء.

قال بيدبا: إذا ابتلىٰ المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال، لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا، ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض دستاوند رجلٌ شيخٌ وكان له ثلاثة بنين، فلما بلغوا أشدهم أسرفوا في مال أبيهم، ولم يكونوا احترفوا حرفةً يكسبون لأنفسهم بها خيراً، فلامهم أبوهم، ووعظهم علىٰ سوء فعلهم، وكان من قوله لهم:

يا بنىٰ أن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها إلا بأربعة أشياء، أما الثلاثة الي يطلب، فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد للآخرة، وأما الأربعة التي يحتاج إليها في درك هذه الثلاثة، فاكتساب المال من أحسن وجه يكون، ثم حسن القيام علىٰ ما اكتسب منه، ثم استثماره، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضىٰ الأهل والإخوان، فيعود عليه نفعه في الآخرة، فمن ضيع شيئًا من هذه الأحوال لم يدرك ما أراد من حاجته: لأنه أن لم يكتسب، لم يكن مالٌ يعيش به، وإن هو كان ذا مالٍ واكتسابٍ ثم لم يحسن القيام عليه، أوشك المال أن يفنىٰ ويبقىٰ معدمًا، وإن هو وضعه ولم يستثمره، لم تنفعه قلة الإنفاق من سرعة الذهاب: كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريعٌ فناؤه. وإن أنفقه في غير وجهه،

ووضعه في غير موضعه، وأخطأ في مواضع استحقاقه، صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له؛ ثم لا يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه؛ كمحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه، فإن لم يكن له مخرجٌ ومفيضٌ ومتنفسٌ يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي، خرب وسال ونز من نواحٍ كثيرةٍ، وربما انبثق البثق العظيم فذهب الماء ضياعـًا.

ثم أن بنىٰ الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا أن فيه الخير وعولوا عليه؛ فانطلق أكبرهم نحو أرضٍ يقال لها ميون، فأتىٰ في طريقه علىٰ مكانٍ فيه وحلٌ كثيرٌ، وكان معه عجلةٌ يجرها ثوران يقال لأحدهما شتربة وللآخر بندبة، فوحل شتربة في ذلك المكان، فعالجه الرجل وأصحابه حتىٰ بلغ منهم الجهد، فلم يقدروا علىٰ إخراجه، فذهب الرجل وخلف عنده رجلاً يشارفه: لعل الوحل ينشف فيتبعه بالثور. فلما بات الرجل بذلك المكان، تبرم به واستوحش؛ فترك الثور والتحق بصاحبه، فأخبره أن الثور قد مات، وقال له: أن الإنسان إذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وإن اجتهد في التوقي من الأمور التي يخاف فيها علىٰ نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه شيئـًا؛ وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالاً عليه، كالذي قيل: أن رجلاً سلك مفازةً فيها خوفٌ من السباع؛ وكان الرجل خبيراً بوعث تلك الأرض وخوفها؛ فلما سار غير بعيد اعترض له ذئبٌ من أحد الذئاب وأضراها؛ فلما رأىٰ الرجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه، ونظر

يميناً وشمالاً ليجد موضعاً يتحرز فيه من الذئب فلم ير إلا قريةً خلف واد؛ ورأىٰ الذئب قد أدركه، فألقىٰ نفسه في الماء، وهو لا يحسن السباحة، وكاد يغرق، لولا أن بصر به قومٌ من أهل القرية؛ فتواقعوا لإخراجه فأخرجوه، وقد أشرف علىٰ الهلاك؛ فلما حصل الرجل عندهم وأمن علىٰ نفسه من غائلة الذئب رأىٰ علىٰ عدوة الوادي بيتاً مفرداً؛ فقال: أدخل هذا البيت فأستريح فيه. فلما دخله وجد جماعةً من اللصوص قد قطعوا الطريق علىٰ رجلٍ من التجار، وهم يقتسمون ماله؛ ويريدون قتله؛ فلما رأىٰ الرجل ذلكً خاف علىٰ نفسه ومضىٰ نحو القرية؛ فأسند ظهره إلىٰ حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والإعياء، إذ سقط الحائط عليه فمات.

قال التاجر: صدقت؛ قد بلغني هذا الحديث، وأما الثور فإنه خلص من مكانه وانبعث، فلم يزل في مرجٍ مخصبٍ كثير الماء والكلأ؛ فلما سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار، وكان قريباً منه أجمةٌ فيها أسدٌ عظيمٌ، وهو ملك تلك الناحية، ومعه سباعٌ كثيرةٌ وذئابٌ وبنات آوىٰ وثعالب وفهودٌ ونمورٌ؛ وكان هذا الأسد منفرداً برأيه دون أخذٍ برأي أحدٍ من أصحابه، فلما سمع خوار الثور، ولم يكن رأىٰ ثوراً قط، ولا سمع خواره؛ لأنه كان مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط؛ بل يؤتىٰ برزقه كل يومٍ علىٰ يد جنده، وكان فيمن معه من السباع ابنا آوىٰ يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة؛ وكانا ذوىٰ دهاء وعلمٍ وأدبٍ، فقال دمنة لأخيه كليلة: يا أخي ما شأن الأسد مقيماً

مكانه لا يبرح ولا ينشط؟ قال له كليلة: ما شأنك أنت والمسألة عن هذا؟ نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين لما يكره؛ ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم، فأمسك عن هذا، واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار.

قصة (بلد العميان) :

يحكىٰ أن شاب مسافر للجبال وقع في يوم في هوة كبيرة بين بعض الكثبان الرملية

ولما سقط اطمأن علىٰ حاله ثم حاول الصعود ثانية فلم يستطع فكانت قمة الجبل عالية وقدمه تؤلمه بشدة

فبدأ يتجول في المكان يتفقده، وجد اثار مدينة ثم وجد مدينة بالفعل وبيوت ولكن لم يرىٰ اي انسان في البلدة،

بعد وقت بسيط يجد أن اهل البلدة كانوا يسيرون ورائه يتتبعونه لانهم خافوا منه

لم يخافوا منه نفسه لانهم لم يكن اىٰ واحد فيهم يراه، لانهم في الواقع كانوا جميعهم وجميعن مصابين ومصابات بمرض وراثي افقدهم جميعهم وجميعهن ايضا البصر

فلما سمعوا صوت اقدام هذا الشاب صاروا يتابعونه من خلفه، لانهم كانوا في الحقيقة لانهم كلهم عميان تطورت لديهم باقي الحواس الاخرىٰ، السمع الشم اللمس

ثم لما راهم وهم لم يكن يرونه خاف منهم ركض فركضوا ورائه ثم امسكوا به

سالوه من تكون؟ قال مسافر ضللت الطريق

قالوا عجبا اهناك بشر اخرين غيرنا

المهم قبلوه وسطهم وقبلوا أن يعيش معهم

لكن في الحقيقة كلما حاول صديقنا المبصر أن يخبرهم انهم عميان وان البشر العادي يولدوا مبصرين كان اهل البلدة العميان يسخروا منه

فهم في الحقيقة لم يعرفوا قط ما هو الابصار ولأنهم جميعا ولدوا عميان ويعيشون في الظلام فالبصر والنور شيء لا تستطيع عقولهم أن تصدقها، حاول الضيف المبصر كثيرا أن يحدثهم عن الشمس والظلام والنهار والالوان

فكانوا يسالوا ما هو معنىٰ الالوان؟

ثم بدأوا يسخرون منه وظنوه مجنونا أو علىٰ اقل تقدير متخلف وغريب الاطوار، أما هو هذا المبصر لما سأم سخريته قرر أن يتوقف عن كلامه معهم عن البصيرة والنور، وبدا ينتظر الوقت لكىٰ يهرب من وسطهم، إلىٰ أن رأىٰ بنت الحاكم الأعمىٰ وكانت بارعة الجمال لكنها عمياء أيضـاً، بدأت هي أيضـاً تميل بقلبها لهذا الدخيل المجنون الذىٰ يتحدث عن اشياء غير صحيحة ولا منطقية

وفىٰ يوم قرر الشاب أن يطلب يدها من ابيها الحاكم سال الفتاة ففرحت ووافقت

وعندما ذهب لأبوها وأخبره أنه يريد الزواج من ابنته، طبعا رفض الأب ليس لأن الشاب غريب عن البلدة فقط ولكن الأخطر أنه مصاب بلوثة عقلية تحدثه أنه يري وله عين تبصر، يا للشاب المجنون

المسكين، ولكن الأب من أجل منصبه كحاكم ولأنه عرف أن ابنته تحب هذا المجنون

وبعد إلحاح من ابنته قرر أن يحكم في أمر خطبة ابنته حكماء وشيوخ البلدة... بلدة العميان

وبعدما تداولوا الأمر كان قرارهم حكيما فعلا فقد رأىٰ الحكماء أن هذا الشاب فقط مصاب بهلوسات عقلية وعلىٰ هذا لكىٰ يخطب ابنة الحاكم عليه أن يتخلص من جنونه ومن اجل هذا قرروا قرارهم الحاسم، علينا أن نفقأ عين هذا الولد بأنفسنا لينتهي من خزعبلاته هذه بأن لديه حاسة زائدة

لما سمع الشاب أصابه الخوف وهم بالهرب لولا أنه رأىٰ حبيبته العمياء وهىٰ تتلمس الجدران لتصل له ثم تطلب منه أنه يوافق علىٰ كلام الحكماء أن كان حبه لها حقيقيا ففي النهاية هم أعقل من في البلدة وهذا الأمر لصالحه،

ضعف الشاب أمام جمالها وكلماتها لأنه فعلا كان يحبها

وقال الشاب لحبيبته العمياء أنه مستعد أن ينفذ حكم الحكماء بفقأ عينه في الصباح، ذهب الشاب وحيدا في هذه الليلة حزينا لأنه أمام اختيارين إما هجران حبيبته للأبد وإما ضياع أغلىٰ ما عنده؛ عيناه، للأبد. وفجأة فكر أن كان يحبها وهىٰ تحبه الآن هل يستمر هذا الحب للأبد

كانت قدم الشاب المكسورة بدأت في التحسن وكان جالسا تحت الحفرة التي وقع منها في أول الأمر، بدون تفكير قفز الشاب واستطاع الوصول لحافة الحفرة، فكان نور الشمس ظاهرا أمامه بعدما كان لوقت طويل تحت الارض، الآن اختار بصيرته وهىٰ باقية معه حتىٰ الموت يري ويحدق ويقرأ ويعمل فيما يحب وهو قد هرب من أرض العميان إلىٰ الأبد.

قصة (المغفلة) لتشيخوف:

يوليا فاسيليفنا هي مربية أطفال مستأجرة تقوم بالتدريس لأبناء العائلات ورعايتهم، ومر علىٰ خدمتها لدىٰ إحدىٰ الأسر الثرية أكثر من شهرين، ولم تتقاضىٰ راتب ولم تعترض أو حتىٰ تطلب منهم ذلك، فيوليا فاسيليفنا كانت شديدة الخجل لدرجة أنها لا تعترض علىٰ أي شيء،

في أحد الأيام قام السيد بدعوتها لكي يدفع لها راتبها الشهري، كما هو متفق ع دخلت يوليا الغرفة فطلب منها السيد الجلوس وقال: لقد اتفقنا علىٰ أن أدفع لك ثلاثين روبلا في الشهر

ردت يوليا: بل أربعين

نظر إليها وقال: كلا، هذا مسجل عندي، كنت دائمًا أدفع نفس المبلغ لكل المربيات.

طأطأت يوليا وردت وهي مُنكسرة: حسنًا

أكمل السيد كلامه: عملت لدينا لشهرين

فردت يوليا: شهرين وخمسة أيام

فقال السيد: بل شهرين تمامًا، هذا مسجل عندي، إذا تستحقين ستين روبلا، تخصم منها تسعة أيام آحاد، فأنت لم تُعلمي الأولاد أيام الآحاد، بل كنتِ تتنزهين معهم فقط، وهناك أيضا ثلاثة أيام أعياد.

وحينئذ تغير وجه يوليا، وأمسكت بأصابعها أهداب فستانها، ولم تنبس بكلمة، فواصل السيد كلامه قائلًا: نخصم ثلاثة أعياد، فيصبح المجموع اثنا عشر روبلا، وكان ابني كوليا مريضًا أربعة أيام ولم يكن يدرس، وكنتي تدرسين فاريا فقط، وهناك ثلاث أيام كانت أسنانك تؤلمك، فسمحت لكِ زوجتي بعدم التدريس بعد الغذاء، وعليه... فإذن هناك اثنا عشر يوما بالإضافة إلىٰ سبعة ثم تسعة، نخصم كل ذلك، فسيكون الباقي هو واحد وأربعون روبلا تمامـًا.

احمر وجه يوليا وامتلأت بالدموع، وسعلت بعصبية، لكنها لم تتفوه بكلمة واحدة له.

فأكمل السيد قائلًا: قبيل رأس السنة كسرت فنجانا وطبقا، إذا نخصم روبلين، مع أن الفنجان أغلىٰ من ذلك، ولكن ليسامحك الرب

ثم أكمل السيد قائلًا: وبسبب تقصيرك تسلق كوليا الشجرة ومزق سترته، إذا سنخصم عشرة

وبسبب تقصيرك أيضا سرقت الخادمة حذاء فاريا، اذاَ نخصم خمسة أيضـًا.

نظر السيد لعيني المربية اللتان تدمعان وقال: من واجبك أن تراعي كل شيء فأنت تتقاضين راتبًا وهكذا نخصم خمسة آخرين، وفي العاشر من يناير أخذت مني عشرة روبلات

فهمست يوليا قائلة: لم آخذ شيئًا

رد السيد بعصبية: أنه مسجل عندي

فردت يوليا: حسنا ليكن

واصـل السـيد قـائلًا: إذ سنخصـم مـن واحـد وأربعـين سـبعة وعشرين والباقي أربعة عشر روبلًا، فسالت دموعها وظهرت حبات العرق علىٰ أنفها، وقالت: لقد أخذت من زوجتك، ثلاثة روبلات، مرة واحدة ولم آخذ غيرها

فرد عليها السيد قائلًا: حقا؟ أنا لم أسجل ذلك، لنخصم ثلاثة روبلات من الأربعة عشر، إذاً الباقي أحد عشر روبلا بالتمام

تقدم منها وهو يمد يده إليها بالنقود؛ فأخذتها يوليا ووضعتها في جيبها، وقالت له بانكسار: شكرًا لك

أشتد غضب السيد وأخذ يذهب ويجيء في الغرفة، ثم قال بعصبية وقد استولىٰ عليه الغضب: شكرا علىٰ ماذا؟

ردت عليه يوليا قائلة: شكرًا علىٰ النقود

رد عليها السيد بعنف: ولكني نهبتك، وسرقتك، فتقولين شكرًا... شكرًا علىٰ ماذا؟!

ردت عليه يوليا قائلة: في أماكن أخرىٰ لم يعطوني شيئًا

قال لها السيد: لم يعطونك! أليس هذا غريبـًا!؟ لقد كنت أمزح معك ولقنتك درسًا قاسيًا، أنا سأعطيك نقودك كاملة، الثمانين روبلا، وها هو الظرف فقد أعددت لكي فيه نقودك.

ومد يده وأعطاها النقود ثم قال لها: لم أنت عاجزة لهذه الدرجة، لم لا تحتجين؟ هل يعقل أن تكوني في هذه الدنيا بدون أنياب؟ هل يعقل أن تكوني مغفلة لهذه الدرجة؟

فردت عليه يوليا بخجل: يمكن.

فسألها السيد أن تسامحه علىٰ ذلك الدرس القاسي، أخذت النقود وشكرته في خجل وانصرفت.

جلس السيد مع نفسه وتنهد قليلاً ثم قال: ما أصعب أن تحيا ضعيفا في هذه الدنيا.

(بجماليون) قصة يونانية عن الحب:

ان بيغماليون نحاتــًا يونانيــًا موهوبــًا مـن قـبرص بعـد أن أصبح بالاشمئزاز من بعض الفتيات المحليات التي يعملن بالدعارة فقد كـل الاهتمام بالنساء وتجنب شراكتهن تماما وقد رأىٰ بيغماليون النساء كمخلوقات معيبة وتعهد بعدم إضاعة أي لحظة من حياته معهن وكرس نفسه لعمله وسرعان ما خلق «غالاتيا» وهي تمثال لامرأة جميلة مصنوع من العاج، ومن المفارقات أن تحفة حياته كانت هذا التمثال لامرأة حيث أن «بيجماليون» سعىٰ لتصحيح العيوب التي رآها في النساء المصنوعات من لحم ودم في تحفته المصنوعة من الرخام، عمل «بيجماليون» لفترة طويلة (مع الإصرار أن يصحح عيوب النساء في منحوتته) علىٰ تمثال «غالاتيا» بحيث أصبح هذا التمثال أكثر جمالًا من أي امرأة عاشت أو تم نحتها.

عندما أنهىٰ ملامح التمثال أصبحت جميلة بشكل رائع ووجد نفسه يستخدم المطرقة والإزميل بكثير من الحب والمودة ومع آخر رنين للإزميل وقفت أمامه امرأة جميلة تتسم بالكمال وأدرك «بيغماليون» -الذي كان قد أعلن ازدرائه لجميع الإناث- أنه وقع في الحب، كان يحضر لها الهدايا ويداعبها ويقبلها ويتحدث إليها كل يوم، أحضر لها هدايا كان يعتقد أن النساء سيتمتعن بها مثل:(الأصداف البحرية الجميلة والخرز والطيور المغردة والحلي والزهور)،كان يُلبس التمثال

ملابس جميلة ويضع خواتم علىٰ أصابعها وقلادات حول عنقها وحتىٰ أقراط ومع ذلك كان المثير للسخرية أن «بيجماليون» الذىٰ كان قد يحتقر النساء وقع في الحب مع امرأة لا يمكن أن تبادله ذلك الحب، مثل هذا الشغف لم يمر دون أن تلاحظه «أفروديت» فقد أشفقت علىٰ الشاب وعندما ذهب «بيجماليون» إلىٰ معبدها للتضحية بالثور أعطته أفروديت علامة حيث قامت بحرق المعبد واشتعلت النيران فيه ثلاث مرات، ثم ذهب بيغماليون إلىٰ المنزل متسائلاً عن معنىٰ النيران الي رآها وعندما دخل الاستوديو الخاص به ورأىٰ التمثال ذهبت كل تلك الأفكار الأخرىٰ من عقله وركض إلىٰ تمثاله واحتضنه، فشعر أن لمستها دافئة وعندما قبلها وجد شفاها ناعمة فأخذ يتساءل هل فعلًا دبت الحياة في تمثاله أم أنه يتخيل ذلك فقط؟ لا إنه لم يكن يتخيل فأفروديت قد أعطت الحياة للتمثال واسمه غالاتيا

تأرجح عقل بيغماليون بين الشك والفرح خوفًا من أنه قد يكون مخطئًا فأخذ يلمسها مرارًا وتكرارًا مع حماسة الحبيب ليتأكد من آماله وعندما فعل ذلك وجد أنها حية بالفعل ببطء أدرك «بيجماليون» أن الحياة الي منحت لنحته كان نتيجة صلاته للإلهة «أفروديت» التي عرفت رغبته وسرعان ما تزوج «بيجماليون» و«غالاتيا» ولم ينس «بيجماليون» أبداً أن يشكر «أفروديت» علىٰ الهدية التي قدمتها له،

«أفروديت» باركت الزواج بينهما وهذا الاتحاد بين «بيجماليون» و«جالاتيا» أنتج ابن يدعىٰ «بافوس» الذي ولد في مدينة بافوس في قبرص (هذه المدينة كانت مقدسة لأفروديت) ولذلك فقد سمي «بافوس» باسمها وجلب بيجماليون وغالاتيا الهدايا لمعبدها طوال حياتهم وأفروديت منحت لهما السعادة والحب في المقابل.

قصة (الحالم) :

القصة حدثت تفاصيلها في الأندلس في الدولة الأموية يرويها لنا التاريخ، هي تحكي أن ثلاثة من الشبان كانوا يعملون حمّارين (يحملون البضائع علىٰ الحمير) وفي ليلة من الليالي وبعد يوم من العمل الشاق، تناولوا طعام العشاء وجلس الثلاثة يتسامرون، فقال أحدهم واسمه «محمد بن أبي عامر»:

افترضا أني خليفة، ماذا تتمنيان؟

فقالا: يا محمد أن هذا غير ممكن.

فقال: افترضا جدلاً أني خليفة!

فقال: أحدهم هذا محال،

وقال الآخر: يا محمد أنت تصلح حمّاراً أما الخليفة فيختلف عنك كثيراً.

قال محمد: قلت لكما افترضا جدلاً أني خليفة.

وهام محمد في أحلام اليقظة وتخيل نفسه علىٰ عرش الخلافة وقال لأحدهما:

ماذا تتمنىٰ أيها الرجل؟

فقال: أريد حدائق غنّاء، وماذا بعد؟

قال الرجل: إسطبلٌ من الخيل

وماذا بعد؟

قال الرجل: أريد مائة جارية

وماذا بعد أيها الرجل؟

قال: مائة ألف دينار ذهب

ثم ماذا بعد؟

يكفي ذلك يا أمير المؤمنين

كل ذلك ومحمد بن أبي عامر يسبح في خياله الطموح ويرىٰ نفسه علىٰ عرش الخلافة، ويُسمع نفسه وهو يعطي العطاءات الكبيرة ويشعر بمشاعر السعادة وهو يعطي بعد أن كان يأخذ، وهو ينفق بعد أن كان يطلب، ويأمر بعد أن كان ينفذ، وبينما هو كذلك التفت إلىٰ صاحبه الآخر وقال:

وأنت أيها الرجل ماذا تريد؟

فقال: يا محمد إنما أنت حمّار، والحَّمار لا يصلح أن يكون خليفة.

فقال محمد: يا أخي افترض جدلاً أنني الخليفة، فماذا تتمنىٰ؟

فقال الرجل: أن تقع السماء علىٰ الأرض أيسر من وصولك إلىٰ الخلافة.

فقال محمد: دعني من هذا كله، ماذا تتمنىٰ أيها الرجل؟

فقال الرجل: اسمع يا محمد إذا أصبحت خليفة فاجعلني علىٰ حمار ووجه وجهي إلىٰ الوراء وأمر منادياً يمشي معي في أزقة المدينة وينادي أيها الناس! أيها الناس! هذا دجال محتال، من يمشي معه أو يحدثه أودعته السجن.

وانتهىٰ الحوار ونـام الجميـع، ومـع بـزوغ الفجـر استيقظ محمـد وصلىٰ صلاة الفجر وجلس يفكر... «صحيح الـذي يعمـل حَّمـاراً لـن يصل إلىٰ الخلافة؟» فكر محمد كثيراً، ما هي الخطوة الأولىٰ للوصول إلىٰ الهدف المنشود، توصل محمد إلىٰ قناعة رائعة جداً وهـي تحديـد الخطوة الأولىٰ حيث قرر أنه يجب بيع الحمار، وفعلاً باع الحمار

وانطلـق ابـن أبـي عـامر بكـل إصـرار وجـد يبحـث عـن الطريـق الموصل إلىٰ الهدف وقرر أن يعمل في الشرطة بكل جد ونشـاط، أخـذ محمد يبذل أقصىٰ جهد في عمله الجديد كما كـان يبذلـه وهـو حَّمـاراً، أُعجب به الرؤساء والزملاء والناس وترقىٰ في عمله حتىٰ أصبح رئيسـاً لقسم الشرطة في الدولـة الأمويـة في الأنـدلس، وبعـد أن مـات الخليفـة الأمـوي تـولىٰ الخلافـة بعـده ابنـه هشـام المؤيـد بـالله وعمـره في ذلـك الوقـت عشـر سـنوات، وهـل يمكـن لهـذا الطفـل الصـغير إدارة شـئون الدولة! أجمعوا علىٰ أن يجعلوا عليه وصيـاً ولكـن خـافوا أن يجعلـوا عليه وصياً من بني أمية فيأخذ الملك منه، فقـرروا أن يكـون مجموعـة من الأوصياء من غيـر بنـي أميـة، ووقـع الاختيـار علـىٰ محمـد بـن أبـي عـامر، وابـن أبـي غالـب، والمصـحفي، وأصـبح محمـد بـن أبـي عـامر مقربـاً إلـىٰ «صـبح» أم الخليفـة، واسـتطاع أن يمتلـك ثقتهـا ووشـىٰ بالمصحفي عندها، وأُزيل المصحفي من الوصاية، وزوج محمـد ابنـه بابنة ابن أبي غالـب، ثـم أصبح بعد ذلك هو الوصـي الوحيـد، ثـم اتخـذ مجموعـة مـن القـرارات، فقـرر أن الخليفـة لا يخـرج إلا بإذنـه، وقـرر

انتقـال شـئون الحكـم إلـىٰ قصـره، وجيش الجيـوش وفـتح الأمصـار واتسعت دولة بني أمية في عهده، وحقق من الانتصارات مـا لـم يحققـه خلفاء بني أمية في الأندلس، حتىٰ اعتبر بعض المؤرخين أن تلك الفترة فترة انقطاع في الدولة الأموية، وسميت بالدولـة العامريـة، هكـذا صـنع الحاجب المنصـور محمـد بـن أبـي عـامر، واسـتطاع أن يحقـق أهدافـه بشتىٰ الطرق الصحيحة والسقيمة.

وفي يوم من الأيام، وبعد ثلاثين سنة من بيع الحمـار، والحاجـب المنصور يعتلي عرش الخلافة وحوله الفقهاء والأمراء والعلماء، تذكر صاحبيه الحَّمارين، فأرسل أحد الجند وقال له:

اذهـب إلـىٰ مكـان كـذا فـإذا وجـدت رجلـين صـفتهما كـذا وكـذا فآتني بهما.

وصل الجندي ووجد الرجلين بـنفس الصـفة وفي نفس المكـان، فقال لهما:

إن أمير المؤمنين يطلبكما

أمير المؤمنين! إننا لم نذنب، لم نفعل شيئًا، ما جرمنا.

قال الجندي: أمرني أن آت بكما.

وصلا ودخلا القصر، ونظرا إلىٰ الخليفة، قالا باستغراب:

أنه صاحبنا محمد

قال الحاجب المنصور: أعرفتماني؟

قالا: نعم يا أمير المؤمنين، ولكن نخشىٰ أنك لم تعرفنا !

قال: بل عرفتكما.

ثم نظر إلىٰ الحاشية وقال:

كنت أنا وهذين الرجلين سوياً قبل ثلاثين سنة، وكنا نعمل حمّارين، وفي ليلة من الليالي جلسنا نتسامر، فقلت لهما إذا كنت خليفة فماذا تتمنيان؟ فتمنيا...

ثم التفت إلىٰ أحدهما، وقال: ماذا تمنيت يا فلان؟

قال الرجل: حدائق غنّاء

فقال الخليفة: لك حديقة كذا وكذا.

وماذا بعد؟

قال الرجل: اسطبلٌ من الخيل.

قال الخليفة: لك ذلك، وماذا بعد؟

قال مائة جارية، قال الخليفة: لك مائة من الجواري، ثم ماذا؟

قال الرجل مائة ألف دينار ذهب،

قال: هو لك، وماذا بعد؟

قال الرجل: كفىٰ يا أمير المؤمنين

قال الحاجب المنصور: ولك راتب مقطوع وتدخل علي بغير حجاب.

ثم التفت إلىٰ الآخر وقال له: ماذا تمنيت؟

قال الرجل:

اعفني يا أمير المؤمنين

قال: لا والله حتىٰ تخبرهم

قال الرجل: الصحبة يا أمير المؤمنين

قال حتىٰ تخبرهم

فقال الرجل: قلت أن أصبحت خليفة فاجعلني علىٰ حمار واجعل وجهي إلىٰ الوراء، وأمر مناديًا ينادي في الناس: أيها الناس، هذا دجال محتال، من يمشي معه أو يحدثه أودعته السجن

قال الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر: افعلوا به ما تمنىٰ حتىٰ يعلم.

قصة (الأب الحكيم) :

كان لرجل حكيم ولد كسول لا يحب العمل وكان هذا الأمر يزعج الأب ويحزنه.

في أحد الأيام طلب الأب من ابنه الخروج إلىٰ العمل وكسب الرزق، فحزن الابن الكسول ولما رأىٰ إصرار والده علىٰ ذلك خطرت بذهنه فكرة أعادت إليه سعادته، وهي الخروج كالعادة إلىٰ النزهة وتمضية النهار باللعب والرجوع إلىٰ البيت مساءً وكأنه أمضىٰ النهار في العمل، وإذا سأله أبوه عن المال الذي كسبه أخرج له ديناراً كان قد أدخر.

وأعجبته هذه الفكرة ونفذها بدقة لكن الأب الحكيم كان ذكياً فلم تنجح معه هذه الحيلة فأراد أن يعرف مدىٰ اهتمام ابنه بما كسبه من النقود، إذ ألقاه في نارٍ تشتعل بالقرب منه فأحترق الدينار ولم يهتم الابن.

وفي اليوم التالي تكرر الأمر، وعندما وجد الابن أن نقوده قد نفدت، قرر أن يخرج للعمل فوراً، وإلا فماذا سيقدم لأبيه.

وفي الصباح اليوم التالي خرج مبكراً فتوكل علىٰ الله وبدأ يبحث عن عمل بشكل جدّي حتىٰ وجده، وأخذ يعمل حتىٰ المساء، وعاد إلىٰ البيت متعباً منهكاً، قدّم الدينار لأبيه، ولما أراد الأب أن يلقيه في النار كما فعل في اليومين السابقين صرخ الابن: ماذا تفعل يا أبي؟ لقد حصلت علىٰ هذا الدينار بجهدٍ شاق.

فضـحك الأب وقـد عـرف أن هـذا الـدينار قـد تعـب ابنـه مـن أجـل كسـبه تعبـاً شـديداً وأنـه ثمـرة عملـه وجهـده فأخـذه وضـمه إلـىٰ صـدره، أمـا الابـن فقـد خجـل مـن نفسـه وصـار يخـرج كـل يـوم للعمل بجد ونشاط.

قصة (المرأة والأناء المشروخ):

كان هناك امرأة صينية عجوز لديها إناءان كبيران تستخدمهما لنقل الماء، وتحملهما مربوطين بعمود خشبي علىٰ كتفيها حتىٰ تتمكن من حملهما معاً، وكان أحد هذين الإناءين به شرخ صغير، والإناء الآخر كان بحالة جيداً جداً ولا ينقص منه أي شيء من الماء الموجود بداخله، وكانت المرأة كل مرة تحمل الإناءين من النهر إلىٰ منزلها كانت تجد أن الإناء المشروخ به نصف كمية الماء الذي وضعتها به فقط.

استمر الحال هكذا لمدة سنتين كاملتين، وكانت في كل مرة تصل إلىٰ منزلها بإناء مملوء تماماً وآخر مملوء حتىٰ نصفه فقط، وبالطبع كان الإناء السليم جميل ومزهواً كثيراً بعمله الكامل الذي لا ينقصه شيء وليس به عيب، وكان الإناء المشروخ حزين محتقراً لنفسه كثيراً لعدم قدرته وعجزه عن إسعاد المرأة العجوز وإتمام عمله كما هو متوقع منه.

و ذات يوم وبعد سنتين متواصلتين من المرارة والحزن والإحساس بالفشل المتواصل، تكلم الإناء المشروخ مع السيدة الصينية وقال لها: أنا أشعر بالخجل الشديد من نفسي لأني عاجز عن أداء واجبي بالشكل الكامل، بسبب هذا الشرخ الذي يسرب الماء في الطريق للمنزل.

ابتسمت المرأة الصينية لكلام وتفكير الإناء المشروح وأجابته في بساطة: يا صغيري ألم تلاحظ أبداً الزهور الموجودة علىٰ جانب الطريق من ناحيتك وليست علىٰ الجانب الآخر؟ أنا أعلم تماماً أن بك شرخ وأن الماء ينقص منك، ولهذا الغرض قومت بغرس بعض البذور علىٰ طول الطريق من ناحيتك حتىٰ ترويها خلال طريق عودتك معي إلىٰ المنزل، وهكذا نمت هذه الزهور وأصبحت رائعة وجميلة وأصبحت اجمعها طوال السنتين الماضيتين لأزين بها حديقة منزلي، ما لم تكن انت بما أنت فيه، ما كان لي أن أجد هذا الجمال الرائع من الزهور الذي أزين به منزلي.

قصة (السمكات الثلاثة):

كان هنالك ثلاثة من السمكات التي يعشن مع بعضهن البعض في نفس البركة، كانت هنالك واحدة من السمكات تحب اللعب والمرح كثيراً، وكانت معجبة بنفسها ومن شدّة إعجابها بنفسها كانت لا تسعىٰ ولا تجتهد للبحث عن الطعام، بل كانت دائمًا تقول: أن وجدت الطعام بالقرب مني فسآكل وإلّا فلا داعي للعمل؛ حيث كانت سمكة كسولة جدّاً. وتتصّف السمكة الثانية بشدة الذكاء؛ حيث كانت تعرف كيف ومتىٰ تعمل عقلها بالتخلّص من المخاطر، وكانت تفهم كل ما يدور حولها ولكنّها كانت تتصف بالإهمال في حياتها. أمّا السمكة الثالثة فكانت تتصّف بالحكمة والذكاء وحسن التدبير؛ حيث كانت تعمل بنشاط كي تجهّز طعامها، وكانت دائمًا تفكّر وتخطط لمستقبلها وتتوقّع حدوث الخطر قبل وقوعه، في يوم من الأيام تقابلت السمكات الثلاث بجانب البركة؛ فانتبهت السمكة الثالثة الحكيمة بأن الصياد يقترب من البركة ويحمل بيديه الصنارة. فقامت بتحذير صديقتيها السمكات منه قالت لهم: لا بد أن نتحرك من مكاننا ونذهب إلىٰ بركة أخرىٰ. ضحكت السمكة الجميلة المعجبة بنفسها وسخرت منها وقالت لها: وهل تريدين الهروب هذا ما تفعلينه جبن، أنا لن أفعل مثلك بل سأكون بانتظار هذا الصياد وسوف آكل الطعم الذي سرميه في البركة ولن يستطيع اصطيادي. قالت السمكة الثانية الذكية: أنا أحسن التصرّف وسوف أواجهه ولن يستطيع الاقتراب مني، لكن

السمكة الحكيمة لـم تستمع لهمـا وانتقلـت إلىٰ بركـة أخـرىٰ، اقـترب الصياد ورمىٰ صنارته فاقتربت السمكة الجميلـة وبـدأت تلـتهم الطعـم بشدّة؛ لذلك أحس الصياد بشـيء يعلـق بصـنارته فرفعهـا فـوراً وكانـت هي تتلوّىٰ من أجل التخلّص من الصنارة ولكنهـا لـم تسـتطيع فأخـذها ووضعها في السلّة، رأت السمكة الذكية ذلـك ولكنّهـا لـم تبـالي. رمـىٰ الصياد صنارته مرة أخرىٰ وكانت السمكة واقفة لا تتحرّك كي تفكر في خطة، وبينما هي واقفة إذ رمىٰ الصياد شباكه عليها واستطاع الحصـول عليها ولم تستطع الهروب من الشباك. بقيـت السـمكة الذكيـة تحـاول الهروب ولكن عند اقترابها من يد الصياد قامت بعـض إحـدىٰ أصـابعه وقفزت للمـاء بسـرعة ولكـن إحـدىٰ زعانفهـا كـان قـد انكسـر، هربـت مسرعة إلىٰ صديقتها السمكة الحكيمة وكانـت تشـعر بـالألم الشـديد، فأخبرتها بما حدث معهـا ومـع السـمكة الجميلـة. نظـرت لهـا السـمكة الحكيمة وقالت: هـل رأيـت مـا سـبب ابتعـادي لقـد خسـرت السـمكة الجميلة حياتها بسبب الغرور، وأنـتِ كـذلك لقـد كنـتِ سـمكة مهملـة وأرجو أن تكوني قد تعلمتِ الـدرس، فقالـت لهـا: لقـد تعلّمـت درسـاً ويجب عليّ في المرات القادمة أن لا أغتر بذكائي وأنتظر حتىٰ اللحظة الأخيرة بل يجب أن أعد للأمر ولن أكرّر فعلتي هذه.

قصة (الأصدقاء المزيفون) :

في إحدىٰ الغابات الجميلة يسكن أرنب صغير يمتلك الكثير من الأصدقاء وهو فخور بالعديد الكبير من الأصدقاء من حوله، وفي أحد الأيام وخلال تجوّل الأرنب في الغابة سمع صوت كلاب الصيد تنبح من بعيد قادمةً لمطاردته، شعر الأرنب بالذعر الشديد وأول ما تبادر لذهنه هو الذهاب لأحد الأصدقاء وطلب العون منه، في البداية ذهب الأرنب للغزال وطلب منه أن يحميه من الكلاب بقرونه الصلبة والكبيرة، ولكن الغزال اعتذر منه وقال له بأنَّه مشغول ويجدر به الذهاب للدبّ، وبالفعل أسرع الأرنب إلىٰ الدب وأخبره عن الكلاب التي تلاحقه وطلب منه الحماية لكونه قويًّا، ولكن مرة أخرىٰ اعتذر منه الدب لكونه جائعًا ومرهَقًا وطلب منه الذهاب إلىٰ القِرد. وبالفعل ذهب الأرنب للقرد وسمع منه الردّ نفسَه ثمّ ذهب إلىٰ الفيل والماعز وغيرهم من الحيوانات، إلّا أنه في كلّ مرة يسمع نفس الجواب، وفي النهاية تأكد الأرنب بأنَّ أصدقاءه لن يقوموا بمساعدته أبدًا، وعليه الاعتماد علىٰ نفسه كي يتخلّص من الكلاب التي تلاحقه، لذلك ذهب إلىٰ إحدىٰ الشُّجَيْرات الصغيرة واختبأ داخلَها دون أيّ حراك، مرت الكلاب بالقرب منه دون أن تلاحظ وجوده وذهبت وبدأت بملاحقة حيوانات أخرىٰ في الغابة، وبعد هذه الحادثة عزم الأرنب علىٰ أن يعتمد علىٰ نفسه في كل الأمور، وألّا يطلب العون من أحد حتىٰ وإن كان صديقًا. قصة أهو قوي أم ضعيف في إحدىٰ الأرياف وعلىٰ حافّة

إحدىٰ الغابات كان هناك شجرة ضخمة وقويّة جدًا تتباها بقوتها وضخامتها باستمرار، وكان إلىٰ جانب هذه الشجرة نبتة صغيرة وضعيفة تنحني لنسماتِ الهواء الضعيفة، وفي أحد الأيام -وخلال تباهي الشجرة الضخمة بنفسها- قالت لها النبتة الصغيرة: أن التباهي باستمرار يسبب الأذىٰ وأنّه حتىٰ الأقوياء سوف يأتي يوم ويسقطون فيه، ولم تكترث الشجرة الضّخمة لحديث النبتة الصغيرة واستمرّت بالتباهي، وفي وقت لاحق هبّت رياح شديدة ولكنها لم تؤثر أبدًا بالشجرة الضخمة وبقية صامدة ولم تنحني ولم تهتزّ، ولكن بالمقابل أجبرت النّبتة الصغيرة علىٰ الانحناء فسخّرت الشجرة العملاقة من النبتة بسبب ضعفها. ومرة أخرىٰ وبعد مرور عدة أيام بدأت عاصفة عاتية بالاقتراب فقامت النبتة بالانحناء خوفًا من أن تُقتلع بسبب العاصفة، وبالمقابل وقفت الشجرة الضخمة بوجه العاصفة وكلها فخر بقوتها ولم تقبل أن تنحني، ومع مرور الوقت بدأت العاصفة تصبح أكثر شدة إلىٰ أن وصلت إلىٰ درجة لم تمكن الشجرة الضخمة من الاستمرار بالصمود وسقطت علىٰ الأرض، بعد أن انتهت العاصفة عادة النبتة الصغيرة للوقوف ووجدت الشجرة الضخمة القوية ساقطة علىٰ الأرض لا حول لها ولا قوة.

قصة (العقد):

السيدة ماتيلد لويسيل دومـًا تتخيل نفسها أنها أرستقراطية، علىٰ الرغم من أنها ولدت في عائلة من الطبقة المتوسطة الدنيا، ولدت دون تخطيط من أهلها فهي كما يُقال «حادث القدر» (بالإنجليزية: accident of fate). تزوجت من موظف (كاتب حكومي) منخفض الأجور اسمه في القصة مونسيور لويسيل أي السيد لويسيل، يحاول دومـًا بذل قصارىٰ جهده ليجعلها سعيدة ولكن ليس لديها ما تقدمه. من خلال التسول في العمل يستطيع زوجها الحصول علىٰ دعوة لكل منهما من شخصية مهمة من حزب وزارة التعليم. ترفض ماتيلد الذهاب للحفلة لأن ليس لديها من الملابس الجميلة لترتديها، ولا ترغب في الانحراج أمام الطبقة العليا.

زوجها مستاء لرؤية استيائها، فهو يريد أن يراها سعيدة. باستخدام كل المال الذي كان يدّخره لشراء بندقية صيد، يعطي ماتيلد ٤٠٠ فرنك لشراء ملابس فاخرة. تشتري ماتيلد ثوبًا ولكنها لا تزال غير سعيدة لأنها تفتقر إلىٰ المجوهرات التي ترتديها. لم يكن لدىٰ الزوجين الكثير من المال، لذا يقترح زوجها عليها أن تشتري الزهور لتلبس معها. لا تتفق ماتيلد معه فيقترح عليها اقتراض شيء من صديقتها، السيدة جان فوريستر. تستعير ماتيلد أغنىٰ قطعة من مدام فوريستر، وهي عبارة عن عقد (قلادة) ضخمة من الألماس. تذهب ماتيلد للحفلة وتبهر الجميع، حتىٰ أن صاحب الحفلة رقص معها،

وبعد ليلة من السعادة، تغمر خلالها نفسها في حياة البهجة التي تعتقد أنها تستحقها، وعند انتهاء الحفلة تكتشف ماتيلد أنها فقدت القلادة. تحاول إيجاد طريقة سريعة لاستبدالها. تذهب إلىٰ متجر «باليه-رويال» وتجد قلادة مماثلة مقابل ٤٠ ألف فرنك لكن بإمكانها الحصول عليها بمبلغ ٣٦ ألف فرنك. علىٰ مدىٰ السنوات العشر القادمة، تظهر علامات الكبر في السن عن ماتيلد وتتخلىٰ عن خادمتها ويبيع الزوجان كل ما يملكانه ويضمنان القروض بأسعار فائدة مرتفعة لدفع ثمن العقد.

وبعد مرور عشر سنين وبعد أن دفعت الدين كله، كانت تسير في الشانزليزيه، ترىٰ ماتيلد فجأة مدام فورستيير، التي بالكاد تعرفها في بلدها الرخيص إلىٰ حد ما. بينما تتحدث النساء، تروي ماتيلد الحقيقية بأنها أضاعت القلادة واستبدلتها من خلال شراء واحدة جديدة ب٤٠ ألف فرنك، وبأنها بسبب مدام فورستيير والقلادة عاشت بشكل متعب ورهيب خلال السنوات العشر الماضية. تشعر السيدة فورستيير بالذهول، وتأخذ يد ماتيلد، وبسخرية وذهول توضح لها أن قلادتها الأصلية كانت مزيفة ومصنوعة من الألماس الصناعي» ولم تكن تساوي أكثر من ٥٠٠ فرنك.

قصة العمة حنان:

كان (عبد الله) شاباً وسيماً ريفياً تخرج من كلية الآداب بتقدير مقبول، وتم قبول أوراق تعيينه في أحد المصالح الحكومية كما هو الحال في حقبة السبعينيات، بحث عن عروسة طيبة وبنت حلال لتعيش معه على الحلو والمر فتزوج (زينب) ممرضة بأحد المستشفيات، وتمر الايام يرزقه الله بطفل جميل الصورة وسماه (حسن) كبر حسن ودخل المدرسة. وتشاء الظروف أن يكون ابن خالته (مصطفى) معه في نفس المدرسة، كان (حسن) تلميذ مثالي وهادئ الطبع بعكس ابن خالته (مصطفى) الذى كان فاشلاً دراسياً وسيء الأخلاق دائماً ما يعاقبه المعلمين ويطردوه من الفصل،

كان (حسن) بأدبه الذى أتصف به يحاول أن لا يحرج أبن خالته فهم في النهاية من عائلة واحدة، ثم بدأ يشفق عليه ويرافقه، وكان هذا ايضاً يعود إلى (خفة دم) مصطفى الذي يستطيع بها أن يكتسب صداقة الاخرين،

زينب فخورة بأبنها وتجده كل يوم عائداً يحمل كراسته بها الدرجات النهائية فتقبله وابيه يفتخر به بين الاقارب، أما حنان فتجد على النقيض أبنها (مصطفى) راسباً في كل المواد ويشتكى منه المدرسين، ابتدأت الغيرة تشتعل في قلبها من

(حسن) وهىٰ بطبيعتها انسانة خبيثة تدعىٰ طيبة القلب امام الجميع،

كانت تطلب من ابنها أن يستميل حسن ويجعله يترك دراسته، ولم يكن مصطفي أقل شراً من أمه. كان يوافق علىٰ ما تطلب وكانت تفرح هي كلما ترىٰ حسن ينغمس أكثر في سوء الأخلاق والبعد عن الدراسة بدون أن تظهر هذا امام والدته زينب أو ابيه بل بالعكس دائمًا ما تصرح بالإطراء علىٰ ابنهم (حسن) وتفوقه وانهم يجب أن يتركوه يلعب مع ابنهم مصطفىٰ فهم اصبحوا اصدقاء واخوة لا يفارقون بعضهم

كان حسن عندما يذهب لمنزل خاله تستقبله العمة حنان ودائمًا ما تحاول أن تقلل منه امام ذكاء ابنها، كانت خبيثة فيما تفعل.

تمر الايام ويكبر مصطفىٰ وحسن ويصبحون أصدقاء متلازمين ولسبب أو لأخر يبدأ حسن في الانحراف ويريد أن يجرب التدخين ويتعلمه، ترك نبوغه وتفوقه الدراسي وأصبحت أخلاقه من سيء لأسوأ، ومصطفىٰ لم يتغير ابداً كان فاشلاً وظل فاشلاً، أما حنان فحانت لها الفرصة بدأت تقول لمصطفىٰ: لا تعود تخرج مع حسن فهو سيء الأخلاق وسيجعلك تترك مدرستك وتهرب معه وتدخن، أما خال حسن والد المدلل الفاشل (مصطفىٰ) فعندما علم أن ابن اخته

(حسن) ابتدأ يدخن وهو في المرحلة الإعدادية، ماذا فعل؟ أعطاه سيجارة في السر وقال له لا تخبر أحداً، أما أبنه مصطفىٰ فعندما سمع فقط أنه يدخن ثارت ثائرته وضربه ومنعه من الخروج مع (حسن) سيء الأخلاق،

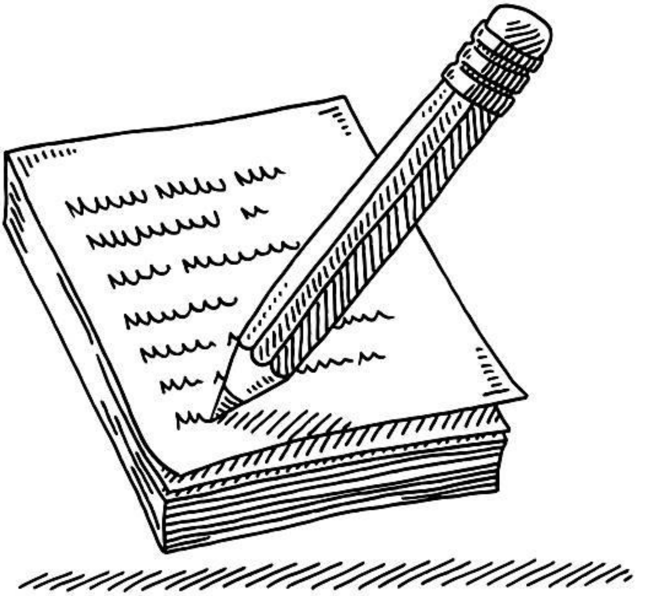
والعمة (حنان) قالتها بوضوح لزينب والدة (حسن): خلىٰ حسن ابنك يبعد عن ابنىٰ لأنه بيفسد أخلاقه.

بعد وقت قليل جاءت امتحانات الاعدادية وبالطبع كانت درجات حسن لا تدخله الثانوية العامة فرافق مصطفىٰ وزامله في مدرسة التعليم الفني (الدبلوم) وبسبب هذا الامر أتضطر أن يعمل في وظائف متدنية تناسب شهادته ولا تناسب فكره.

تمر الأيام ويكبر حسن وتشاء الظروف أن يبتعد عن بلده نهائياً ويسكن في بلد أخرىٰ ويجتهد وينجح في عمله ويكمل دراسته وينجح أيضاً، ويعود يوماً لبلدته القديمة تستقبله أمه زينب بحضنها الدافئ لأبنها الذي كبر واصبح انساناً ناجحا وعاد عن طريق الفساد،

أما (مصطفىٰ) فظل علىٰ حاله المنحرف يزداد وينغمس أكثر في الشر ويعمل في أدنىٰ الوظائف، ماتت أمه حنان التي كانت تحبه أكثر من الاخرين وتدلِّلَهُ برغم فشله. فماذا يفعل حسن هل يذهب إلىٰ عزائها، هل يأخذ مصطفىٰ مرة أخرىٰ

بالحضـن، وهـل يسـتطيع أن ينظـر إلـىٰ خالـه مـرة أخـرىٰ بعـدما كـبر وفهم كم أساؤوا اليه ويناديه: يا خالي.



ختام

إن الأخلاق ليست حكراً علىٰ شعب بعينه أو ديانة أو بيئة، لكن الأخلاق كما رأينا نجدها في كل الأديان وكل الشعوب وكل الأعراق والأجناس.

إن ما نتعلمه إننا نحتاج لصيغة مشتركة في القوانين الأخلاقية الشخصية والاجتماعية، وأننا نحتاج أن نربي أبناءنا علىٰ هذا، أي علىٰ السلك القويم.

إن ارتفاع الأمة بتهذيب شعبها، وصقل شخصياتهم بالمعرفة وكذا بالتربية الحسنة.

وكلمة أخيرة أن الأخلاق تنقسم لقسمين، الأخلاق العادية الطبيعية وهي مطلوبة من كل فرد في المجتمع أن يتحلىٰ بها مثل: الاحترام المتبادل، عدم الغش، عدم التعدي، عدم السخرية، المحبة، العطاء، التعاون، الجدية والنظام.

أما القسم الآخر فهي الأخلاق الخاصة وهي تختص بفئة تكون في الغالب أفراد قليلين في المجتمع ويسمون القديسين أو الأولياء أو المستنيرين، وهم من وصلوا لحالة كمال إنساني نسبي بالطبع ولكنهم بأخلاقهم السامية يمثلون قدوة للأغلبية، وأما حكمتهم وأقوالهم وحياتهم فتنير وتبني قواعد السمو وكذا التمدن والسعي للكمال.

وإنني قد أكون قدمت أمثلة بسيطة لأشخاص منهم قليلون ولكنني قدمت من تأثرت بهم أنا شخصياً في رحلتي الذاتية وبحثي الشخصي عن السمو الأخلاقي (مثل أي شخص أخر).

وقد حاولت أن آخذ من حكمة أجدادي الفراعنة والقدماء الإغريق وثم اليهود والمسيحيين وبعدها المسلمين العرب وحضارتهم العظيمة، وكذلك ما يعجبني في عصر النهضة الأوروبية وما بعدها.

وقدمت مجموعة أقوال في الأخلاق أخترتها بعناية لرؤيتي أنها ستقدم فهماً وإدراكاً للأخلاق المطلوب تعليمها للناس.

وأنني أشهد أن أجمل عصور الأخلاق كان عصر القدماء المصريين، وشهادتي ليست عن عنصرية وطنية بل عن دراستي للتاريخ المقارن.

وان كان مؤلَفي هذا مجرد حجر بسيط في علم الأخلاق فأنني أرجوا أن يبني الكتاب والمفكرين الأخرين عليه ليكتمل ويتضح المنهج لأخلاقي أكثر أمام شعوبنا في مصر والوطن العربي وكل العالم.

بيشوي مكرم زكي

جدول المحتويات

****